الأبحاث والدراسات
75

نجران عند بعض الجغرافيين والرحالين والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين (*)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: منطقة نجران: دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام – ق ١٥هـ / ق ٧ – ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١ هـ / ٢٠١٩م)، (الجزء الأول)، ص ص ٣١١ – ٣٧٢.

٦

الدراســـة السادســة

نجران عند بعض الجغرافيين، والرحالين، والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس

الدراسة السادسة : نجران عند بعض الجغرافيين، والرحالين والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين:

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	تمهيد	٣١٣
ثانيا :	التعريف بالجغرافيين والرحالين والمؤرخين ومدوناتهم	٣١٣
	١. ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، وأبو إسحاق الحربي (ق ٢-٤هـ/ق٨ -١٠ م)	٣١٣
	٢. اليعقوبي، وابن رستة، وابن حوقل (ق٣-٤هـ / ق٩- ١٠م)	٣١٥
	٣. الحسن الهمداني ،والإمام القاسم العياني (ق٣-٤هـ/ ق٩ - ١٠م)	٣١٦
	٤. أبو علي الهجري، وكتاب أنباء الزمن، والمقدسي (ق٣- ٤هـ/ ق٩-١٠م)	٣٢٠
	٥. الأميران الشريفان القاسم ومحمد، وأبو عبدالله البكري، والإمام أحمد بن سليمان ،والإمام عبدالله بن حمزة، (ق ٥- ٧هـ /ق١١- ١٣م)	٣٢٣
	٦. الإدريسي، وياقوت الحموي ،والقزويني، وابن المجاور (ق٥هـ - ٧هـ/ ق١١- ١٣م)	٣٢٧
	٧. أبو الفداء، وابن فضل الله ،وتاج الدين عبدالباقي ،وكتاب نور المعارف (ق٧-١٠هـ/ق١٣-١٦م)	٣٣٠
	٨. يحيى بن الحسين، وعبدالله بن علي الوزير،ولطف الله بن أحمد جحاف (ق١١-١٣هـ/ق١٧-١٩م)	٣٣٦
	٩. القاضي حسين العرشي، والقاضي محمد بن أحمد الحجري، والقاضي عبدالله الجرافي (ق١٣-١٤هـ/ ق١٩- ٢٠م)	٣٤٣
	١٠. هاري سانت جون فلبي (ق١٤هـ/ ٢٠م)	٣٤٦
	١١. فؤاد حمزة، وتويتشل (ق١٤هـ/ ٢٠م)	٣٥٢
	١٢- اليعقوبي، وابن رستة، وابن حوقل (ق٣-٤هـ / ق٩- ١٠م)	
	١٢- تركي الماضي، وفيليب ليبنز (ق١٤هـ/ ٢٠م	٣٥٥
	١٣- مجلة العرب (حمد الجاسر)، ومحمد حميد الله الحيدر أبادي، ومحمد علي الأكوع (ق١٤-١٥هـ/ ٢٠م)	٣٦٠
	١٤- عاتق البلادي، وعبدالرحمن صادق الشريف (ق١٤- ١هـ/ ٢٠م)	٣٦٤
ثالثاً :	قراءة ومقارنة للرحالة والمؤرخين ومدوناتهم	٣٦٨
	١. تنوع بيئاتهم وثقافتهم	٣٦٨
	٢. المصادر والمنهج المستخدم في جمع المادة	٣٦٩
	٣. دراسة المادة العلمية ومقارنتها	٣٧٠
رابعاً :	آراء واقتراحات	٣٧٢

أولاً : تمهيد :

نوثق في هذا القسم شيئاً من أقوال، أو مشاهدات، أو مدونات حوالي (٤٢) جغرافياً ومؤرخاً سجلوا صوراً من تاريخ وحضارة منطقة نجران خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة . ولم نحط بكل من كتب أو شاهد بلاد نجران خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، لكننا أشرنا إلى عدد منهم، ومازال هناك روايات وأقوال كثيرة لم نستطع إدراجها في هذه الدراسة . ونأمل أن نرى في المستقبل من يدرس عموم منطقة نجران في عيون المؤرخين والرحالين عبر عصور التاريخ الإسلامي، فذلك موضوع كبير، ومادته غزيرة تكفي للرصد والتوثيق في مئات الصفحات [١].

ثانياً : التعريف بالجغرافيين والرحالين والمؤرخين ومدوناتهم :

١. ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة بن جعفر، وأبو إسحاق الحربي (ق٢-٤هـ/ق٨-١٠م) :

ابن خرداذبة : هو أبو القاسم عبدالله أو عبيد الله، ولد في مدينة خراسان عام (٢٠٥هـ/٨٢٠م)، تولى بعض الأعمال الإدارية في عصر الدولة العباسية، وعمل في إدارة البريد في بعض مدن العراق وفارس. من أوائل الجغرافيين المسلمين، له مؤلفات عديدة، وصلنا منها كتابه : المسالك والممالك، دراسة وتحقيق المستشرق دي خويه، ونُشر عام (١٨٨٩م)[٢]. أما أبو الفرج قدامة بن جعفر فجاء من أسرة نصرانية، ونشأ في العراق، واعتنق الإسلام، وعين في نهاية القرن (٣هـ/١٠م) على ديوان الخراج، وهذا ما جعله يتجول في أرجاء الدولة العباسية، وصار عالماً بالطرق والبلدان، وهذا ما جعله يدون عدداً من الكتب التي ضاع أغلبها، ولم يصل منها إلا نبذ من كتاب (صنعة الكتابة) وعرف أيضاً باسم كتاب (الخراج)[٣]. وأبو إسحاق الحربي من مواليد مدينة مرو في خراسان عام (١٩٨هـ/٨١٣م)، كان عالماً في علوم شرعية ولغوية وجغرافية عديدة . ومن أهم كتبه في علم الرحلات والجغرافيا : **كتاب : المناسك وأماكن الحج ومعالم الجزيرة**، قام الأستاذ

---

(١) نشر مثل هذا الموضوع قد يفتح الباب للمؤرخين والباحثين الجادين فيدرس في عدد من الكتب، والبحوث، والرسائل العلمية.

(٢) للمزيد عن ابن خرداذبة انظر: كتابه : المسالك والممالك، وما يشتمل عليه من معلومات قبل أن نجدها في أي مصدر آخر، وانظر أحمد رمضان أحمد . الرحلة والرحالة المسلمون (جدة : دار البيان العربي، د. ت)، ص ٥٥ وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٣٨- ١٣٩ . ج١٣، ١٨-١٩ .

(٣) لا نعلم تاريخ ميلاد أبو الفرج قدامة، أما وفاته فكانت خلال العقدين الأولين من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . وكتابه (الخراج) يشبه في منهجه وأسلوبه كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة . وهو منشور مع كتاب ابن خرداذبة في مجلد واحد، قام بدراسته وتحقيقه دي خويه عام (١٨٨٩م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٣، ص ١٩-٢٠، أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٦٣ وما بعدها.

حمد الجاسر بدراسته وتحقيقه، وكتب له مقدمة طويلة تقع في عشرات الصفحات، وتم نشره عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) [١].

دون ابن خرداذبة عنواناً جانبياً أسماه (مخاليف مكة بنجد) . وذكر منها الطائف ونجران، ومواطن أخرى عديدة بينهما مثل: تربة، وبيشة، وتبالة، وجرش، والسراة[٢]. وعدد محطات الطرق بين اليمن والحجاز، لكنه لم يذكر نجران، وأشار إلى أمكنة قريبة منها كصعدة وجرش، وطلحة الملك [٣]. ويشير هذا الجغرافي لأمطار بلاد السروات ونجران التي تسقط في فصل الصيف، وعلى إثرها تزدهر الأرض وتخصب[٤]. ولا يذهب أبو الفرج بن قدامة بعيداً عما ذكره ابن خرداذبة بشأن محطات الطريق الجبلي الذي يربط اليمن بالحجاز[٥]. وأشار إلى محطات الطريق من اليمامة إلى اليمن، ونجران إحدى المحطات الرئيسية على تلك الطريق [٦]. وأكد أن نجران من أعمال مكة النجدية، كما ذكر بعض الأمكنة الواقعة في محيط منطقة نجران، وأشار إلى أنها من مخاليف اليمن [٧]. ويشير أبو إسحاق الحربي إلى الطرق بين اليمن ومكة فيقول: " هما طريقان، طريق على البحر، وطريق على نجران وتهامة "[٨]، وبهذا الوصف وقع في خطأ عندما قال: طريق البحر ويقصد بها، الطريق التي تخرج من صنعاء إلى الطائف ومكة، فهي طريق الجبل، أو السراة، أو الجادة، وقد أشارت إليها مصادر قديمة كثيرة[٩]. وذكر بعض المحطات القريبة من نجران، والواقعة على تلك الطريق الجبلية [١٠].

---

(١) يقع الكتاب في أكثر من (٨٠٠) صفحة، ومادة الكتاب الأساسية حوالي (٣٨٠) صفحة، والباقي مقدمات، وتعليقات، وحواشي للمحقق . للمزيد انظر غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثالث عشر، ص١٩-٢٠م).

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٦، طلحة الملك : تسمى اليوم الطلحة في بلاد وادعة بمنطقة عسير، وتبعد عن بلاد نجران نحو الشمال حوالي (٦٠ - ١٠٠كم) . مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

(٤) نعم تسقط الأمطار على هذه البلاد في فصل الصيف، وربما سقطت في فصول أخرى، وهذه الأوطان الممتدة من الطائف إلى نجران وبلاد اليمن الجبلية تمتاز بالخصوبة، وتنوع تضاريسها وجمال أرضها . مشاهدات الباحث خلال العقود الخمسة الماضية.

(٥) أبو الفرج قدامة، نبذ من كتاب الخراج، ص ١٨٧-١٩٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٣ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٨، ٢٤٩. هذا الرحالة يتحدث عن بلاد نجران وأجزاء من اليمن والسروات في القرن (٣هـ/٩م)، وجميعها تتبع إدارياً الخلافة العباسية في بغداد .

(٨) انظر أبو إسحاق الحربي، كتاب المناسك، ٦٤٣ .

(٩) هناك عشرات المصادر والمراجع والمقالات التي فصلت الحديث عن طرق الحج والتجارة التي تربط مدن الحجاز الرئيسية مع مدن وحواضر أخرى عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها .

(١٠) من المواقع التي أشار إليها هذا الجغرافي : غيل المنضج، ، وحلاحل : والصحيح جلاجل، والطلحة، وجميع هذه الأمكنة تقع في بلاد وادعة المجاورة لبلاد نجران من جهة الشمال والشمال الغربي . المصدر : رحلة الباحث ومشاهداته في محافظة ظهران الجنوب (بلاد وادعة) في عام (١٤٣٧هـ/١٤١٦م). للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ج١١، ص٤٨ وما بعدها .

٢. اليعقوبي، وابن رستة، وابن حوقل (ق٣-٤هـ/ق٩-١٠م) :

أحمد بن يعقوب بن واضح، المعروف باليعقوبي، من أهل القرن (٣هـ/٩م)، جده جعفر بن وهب بن واضح من موالي الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٣ - ٧٧٤م). كان أحمد اليعقوبي جغرافيا ومؤرخا ورحالة، ألف كتبا عديدة، ومن أقدمها وأهمها (كتاب البلدان)، طبع في المكتبة الجغرافية في ليدن بهولندا[١]. وفي هذا الكتاب تفصيلات قيمة دونها اليعقوبي واعتنى بها بأسلوب سهل ومميز، وكان هذا الرحالة حريصا على فحص وتمحيص كل ما يكتب، وهذا مما أشار إليه في مقدمة كتابه (البلدان)، فقال: " إني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني وحدة ذهني، بعلم أخبار البلدان والمسافة بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري ودام تغربي "[٢].

وابن رسته أحمد بن عمر، من مشاهير الرحالة والجغرافيين في القرن (٣هـ/٩م)، ألف كتابه الموسوم بـ: **الأعلاق النفيسة**، في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). ويحتوي هذا السفر على تفصيلات كثيرة عن مدن وحواضر في العالم الإسلامي، ونالت مدينة أصفهان نصيبا جيدا، لأن ابن رسته أقام فيها سنوات عديدة، كما أورد تفصيلات اقتصادية واجتماعية جيدة عن مدينة صنعاء[٣]. أما ابن حوقل: فهو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي، من أهل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ساح في بلدان العالم الإسلامي شرقا وغربا، وألف كتابه : **(المسالك والممالك أو صورة الأرض)**[٤]. وذكر في مقدمة هذا الكتاب سبب تأليفه، فقال: " وكان مما حضني على تأليفه، وجذبني إلى رسمه، أني لم أزل في حالة الصبوة، شغفا بقراءة كتب المسالك، متطلعا إلى كيفية السالك في السير والحقائق، وتباينهم في المذاهب والطرق، وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة، والتواليف الشريفة الموصوفة، فلم أقرأ في الممالك كتابا مقنعا، وما رأيت فيها رسما متبعا، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب، واستنطاقي فيه وجوها من القول والخطاب، وأعانني عليه تواصل السفر، وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر، لاستيفاء الرزق والأثر والشهرة لبلوغ الوطر بحبور السلطان، وكلب الزمان، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان "[٥].

ويذكر اليعقوبي أسماء مواضع في نجران وبلاد السراة وبعض ساكنيها فقال: " تبالة وأهلها خثعم، ونجران لبني الحارث بن كعب، كانت منازلهم في الجاهلية، والسراة

---

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة بريل في ليدن عام (١٨٩١م)، دراسة وتحقيق دي خويه، وهو ملحق بكتاب (الأعلاق النفيسة) لأحمد بن عمر بن رسته .

(٢) انظر، كتاب البلدان لليعقوبي، (طبعة ليدن، وتحقيق دي خويه عام (١٨٩١م)، ص ٢٣٢ .

(٣) انظر كتاب ابن رسته. المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفيسة (ليدن : بريل، ١٨٩١م)، وهذا الكتاب في مجلد واحد مع كتاب (البلدان) لليعقوبي .

(٤) هذا الكتاب طبع في مطابع بريل في ليدن في الفترة من (١٨٧٠-١٨٧٣م)، واعتنى بدارسته وتحقيقه المستشرق دي خويه، ثم أعيدت طباعة هذا الكتاب عام (١٩٣٨م)، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها.

(٥) ابن حوقل، كتاب صورة الارض، (بيروت : دار صادر)، وهي صورة من طبعة بريل في ليدن عام (١٩٣٨هـ)، ص٣.

وأهلها الأزد "[١]، وأشار إلى مواقع أخرى عديدة في الأجزاء الشمالية من اليمن مثل صعدة والسروات الممتدة من نجران إلى الطائف ومكة[٢]. ويدون ابن رستة معلومات قليلة عن الطرق البرية التي تصل إلى الحجاز من داخل الجزيرة العربية وخارجها، ويعدد مخاليف مكة مما يلي نجد والسراة، فذكر جرش، ونجران والطائف، وتربة، وبيشة، وتبالة، وغيرها[٣]. ولا يورد معلومات ذات أهمية عن نجران، إلا أنه أشار إلى بعض المدن والحواضر القريبة منها، مثل: صنعاء، وصعدة، وشبام، وذكر شيئاً من تاريخها الحضاري [٤]. ونجد ابن حوقل كاليعقوبي وغيره من الجغرافيين المسلمين الأوائل يشير إلى مدن عديدة في البلاد الممتدة من صنعاء وصعدة إلى الحجاز ومنها بلاد نجران[٥]، ويذكر مصطلح (بلاد نجران وتهامة)، والصحيح بلاد السراة، فيقول عنها : " جبال مشتبكة، أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها، وشرقيها بناحية صعدة، وجرش، ونجران وشماليها حدود مكة"[٦]. ويؤكد على أن بلاد السراة واليمن تشتمل على قرى ومياه ومزارع معمورة بأهلها، وفيها أصناف عديدة من القبائل والعشائر[٧]، ثم يقول : " ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر، وبها نخيل، وتشتملان على أحياء كثيرة وصعدة أكبر وأعمر منهما، وبها يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم، ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير غزير، وأكثره من صعدة"[٨]. ويشير هذا الجغرافي إلى الطرق التي تخرج من اليمن إلى الحجاز، لكنه لا يذكر نجران ضمن محطات تلك الطرق [٩].

٣. الحسن الهمداني، والإمام القاسم العياني (ق٣-٤هـ / ق٩-١٠م)[١٠].

الحسن بن أحمد الهمداني من مواليد القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) اشتهر ببعض الأسماء أو الألقاب، فيكنى بابن يعقوب، أو ابن الحائك، ويطلق على نفسه (لسان اليمن) [١١]، وبلاد همدان مسقط رأسه، وهو متعصب لبلاده (همدان)، وقد تحدث عنها بشكل مفصل في الجزء العاشر من كتابه

---

(١) انظر اليعقوبي، البلدان، ص ٣١٦، ٣١٨-٣٢٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) جميع هذه البلدان تستحق أن تدرس في كتب أو بحوث مطولة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحديث .

(٤) انظر: ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص ١٠٩- ١١٥، ١٨٤.

(٥) انظر ابن حوقل، كتاب صورة الأرض (طبعة ١٩٣٨م) . ص ٢٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦ .

(٧) ما ذكره ابن حوقل هو الحقيقة فالبلاد السروية من اليمن إلى الحجاز مأهولة بالسكان، وغنية بالأراضي الزراعية، والتضاريس المتنوعة .

(٨) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ص٣٦ .

(٩) المصدر نفسه، ص ١٩٣ .

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٦ .

(١١) للمزيد من التفصيلات عن هذا الجغرافي والرحالة انظر: غيثان بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني . مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٩) (ربيع الآخر والجمادان ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٧٦-١١١.

(الإكليل) [١]. عمل في مهنة الجمالة ونقل الحجاج والتجارات ما بين اليمن والحجاز، وزار عدداً من حواضر العالم الإسلامي، وقابل العديد من العلماء والأدباء، والشعراء، وبرع في فنون وعلوم عديدة، وأثنى على علمه الكثير من علماء أهل عصره [٢]. ومن مؤلفاته غير الإكليل :كتاب: **صفة جزيرة العرب**، وكتاب **الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، وكتاب الدامغة**. وجميع هذه الكتب تشتمل على معلومات وتحليلات جيدة لا نجدها في أي مصدر آخر [٣].

أما الإمام القاسم العياني، فهو من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وأحد أئمة الزيدية المشاهير [٤]. ولد في بلدة تبالة من أرض خثعم في سروات منطقة عسير عام (٣١٠هـ/٩٢٢م) ، وعاش معظم حياته في مسقط رأسه، قام برحلات عديدة إلى الحجاز واليمن، وفي آخر حياته ترك بلاد تبالة وذهب إلى بلاد اليمن، وصار إماما وحاكما للدولة الزيدية لمدة خمس سنوات (٣٨٨-٣٩٣هـ/ ٩٩٨-١٠٠٢م) ، مارس فيها السياسية، وقابل الكثير من الاضطرابات، وكانت بلاد نجران وصنعاء من أكثر البلدان التي ظهر فيها أعداء مناوئون لحكمه، وقد جرد ضدهم حملات عسكرية عديدة [٥].

ويذكر الهمداني شيئاً من تركيبة نجران وما حولها، الجغرافية والبشرية، فيقول : " طولها من المشرق مائة وسبع عشرة درجة، وخمسة أسداس درجة، يطلع عليها الشمس قبل مطلعها على صعدة" [٦]. ويذكر أن فروع ووادي نجران من ثلاثة مواضع : من بلاد بني حيف من وادعة، ومن بلاد بني جماعة من خولان، ومن بلاد شاكر [٧]. ويشير إلى أودية أخرى في أرض نجران مثل وادي حبونن، وأودية أخرى تتصل ببلاد وادعة ويام وغيرها من القبائل في اليمن وبلاد قحطان [٨]. ويقول : " اليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبيد ونهد" [٩]، ونعلم أن قبائل يام

---

(١) كتاب الإكليل، من أهم كتب الهمداني، يقع في عشرة أجزاء، ولم يصلنا إلا أربعة هي (الأجزاء الأول، والثاني، والثامن، والعاشر) .

(٢) انظر: مقدمة حمد الجاسر في كتاب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ١٨ .

(٣) كل كتاب من هذه الكتب يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل . للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي ،١٤٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠-٢٠١١م) ، ج٣، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٤) انظر: الحسين بن أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني . تحقيق عبدالله محمد الحبشي(صنعاء: دار الحكمة ،اليمانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ، ص ٢٥ وما بعدها، انظر: أيضاً، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، (٣١٠-٣٩٣هـ). تحقيق عبدالكريم أحمد جدبان (صعدة : مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). (٤٤٥صفحة).

(٥) المصادر نفسها .

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥٣ .

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٣، وللمزيد عن تاريخ وجغرافية وحضارة بلاد نجران، انظر غيثان بن جريس . نجران دراسة تاريخية (ق١- ٤هـ/ق٧-١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) (الجزء الأول) ، ص٢٣ وما بعدها .

(٨) الهمداني، صفة، ص ١٦٦، ٢٥٠ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٥١ .

هي صاحبة النفوذ الأوسع والأكبر في بلاد نجران ويجاورها ويخالطها قبائل أخرى في منطقة نجران وما جاورها من البلاد الممتدة من نجران إلى منطقة عسير في الشمال. ويذكر الهمداني موارد بني الحارث بن كعب في منطقة نجران فيقول: "أعداد مياه بلحارث مما يلي الهجيرة، حمى ماء بأطراف جبال غاذ بين مريع والغائط ومريع وتباله وقد ينقطع، وقلت يقال له يدمات... وخطمة بئر بالرمل دون العارض احتفرها عبدالله بن الربيع المداني في عصر أبي العباس السفاح، والبراق ماء بأعلى وادي ثار، والزيادية بحبونن، والحصينية أسفل منها على شط الوادي ... والربيعية بأسفل نجران"[١]. ومعظم هذه الأمكنة مازالت معروفة بأسمائها في منطقة نجران حتى اليوم . والزيادية، والربيعية وغيرها من مواقع تنسب لأصحابها من أسرة آل عبدالمدان ذات التاريخ والصيت الذائع في بلاد نجران منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[٢]. ونجد هذا الرحالة اليمني يذكر مواطن صغيرة وكبيرة في وادي نجران وقريبة منه، لكنه لا يفصل الحديث عن سكانها وحياتهم العامة والخاصة [٣].

ولا نجد تفصيلات واضحة عن الحياة الاجتماعية في نجران، وإن كان أشار إلى بعض القرى، والعشائر، وبعض الأعراف والعادات والأطعمة والأشربة والألبسة في نواحي من بلاد اليمن والسراة[٤]. وذكر بعض الحبوب والزراعات في نجران، فقال: "وباليمن من غرائب الحبوب، ثم من البر العربي الذي ليس بحنطة ... والميساني والسول والهلباء [٥]. لا يكون إلا بنجران"[٦]. وأشاد هذا الرحالة اليمني بالعديد من ثمار وزروع نجران، مثل تمر القسب، والذرة، والأترج[٧]، ويمدح بعض أنواع التمور نقلاً عن والده فيقول: "قال لي أبي (رحمه الله تعالى) قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة، وأكثر بلاد النخيل وطعمت التمران ما رأيت مثل مدبس نجران جودة وعظم تمره، خاصة تملأ الكف التمرة"[٨]. ويذكر الطرق التي تربط بين نجران واليمامة[٩]، وطريق الحج بين حضرموت والحجاز عبر نجران وغيرها من المحطات[١٠]، لكنه لا يفصل الحديث عن أهمية نجران كونها إحدى محطات الحج والتجارة، مع أن أرض نجران ذات ثراء

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٤ .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ نجران السياسي والحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية الأولى، انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م)، ج١، (٥٦٠صفحة) .

(٣) الهمداني، صفة، ص ٩٩، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ٣١٨ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥١ وما بعدها .

(٥) هذه المصطلحات من أسماء حبوب الحنطة في بلاد نجران ونجران وتهامة والسراة . وتاريخ الزراعة في هذه البلاد عبر أطوار التاريخ الإسلامي من الموضوعات الجديرة بالدراسة .

(٦) الهمداني، صفة ، ص ٣٥٨ .

(٧) الهمداني، صفة، ص ٣٦٠ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٦١ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٣١٢-٣١٣ .

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٤٢ .

اقتصادي وحضاري، لما يوجد في أرضها من ثروات طبيعية، وكذلك لأهمية موقعها الجغرافي[١]. وذكر بعض المعادن في الجزيرة العربية، ومنها معدني الرضراض، وسابقة، وهما من المعادن القديمة[٢]، ويقعان في محيط منطقة نجران أو قريباً منها، وكانت من أغزر المعادن انتاجاً زمن الهمداني ،واليوم اندثرت، ولم يبق إلا آثارها [٣]. ويذكر هذا الرحالة الجانب اللغوي واللهجي عند النجرانيين، وعموم بلاد السروات حتى الطائف، ويقارنها بالحياة العلمية واللغوية عند سكان اليمن ونجران وتهامة، وأكد على أن أهل البلاد الممتدة من نجران إلى الطائف أكثر وأجود بلاغة وفصاحة، فقال : " الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فيما اتصل ببلاد شاكر من نجران إلى أرض يام فأرض سنحان فأرض نهد وبني أسامة فعنز وخثعم فهلال بن ربيعة فسراة الحجر فدوس فغامد فشكر ففهم فثقيف فبجيلة فبنو علي غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سراة خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة" [٤].

أما الإمام القاسم العياني، فإن كان ولد وعاش معظم حياته في بلاد السروات، وله الكثير من الأقوال والمدونات[٥]، إلا أنه لم يذكر نجران ويدون شيئاً من تاريخها إلا بعد أن أصبح إماماً في اليمن من عام (٣٨٨ - ٣٩٣هـ/٩٩٨ - ١٠٠٢م) [٦]. والواضح أن الإمام العياني كان في حرب دائمة مع أهل نجران بهدف السيطرة على بلادهم، وقد نجح لبعض الوقت، لكنه لم يستطع الاستمرار في حكمها، لتعدد الثورات ضده، والاشتباكات المتتالية مع رجاله وجيشه . وهناك الكثير من الأشعار والنصوص النثرية التي دونت عن تلك الفتن والاضطرابات بين النجرانيين وأهل صعدة وما حولها في عصر الإمام القاسم العياني[٧]. كما يوجد العديد من الرسائل المطولة التي أرسلها الإمام إلى أهل نجران وهي تجمع بين الترغيب والترهيب، وكلها تدور حول رغبة الإمام العياني ورجاله في السيطرة التامة على

---

(١) انظر : غيثان بن جريس، نجران، ج١، ص ٢٢ وما بعدها، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ١٨١-٣٩٢ .

(٢) الهمداني، صفة، ص ١٥١، ١٥٢، ٢٤٠، ٤٣١، للمؤلف نفسه، كتاب الجوهرتين، مراجعة حمد الجاسر، ص ٣٦١-٣٦٢ .

(٣) انظر مزيداً من التفصيلات عن هذين المعدنين في دراسة حمد الجاسر " المعادن القديمة في جزيرة العرب" والمنشورة في نهاية كتاب الهمداني (الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء) (الرياض: المطبعة الأهلية للأوفست، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٣٥٨-٣٦١ .

(٤) الهمداني، صفة، ص٢٧٩. هذه البلاد التي ذكرها الهمداني، هي أرض السروات الممتدة من صعدة ونجران إلى الطائف. وهي بلاد مأهولة بالسكان، وأرض استيطان منذ قديم الزمان، كما أنها أكثر بلدان جزيرة العرب وضوحاً في لغتها وأنسابها، وربما صعوبة تضاريسها وعزلتها الجغرافية أزمنة عديدة جعلتها تحوز هذه الصفات .

(٥) للمزيد انظر الحسين بن أحمد، سيرة الإمام المنصور بالله، ص ٢٣ وما بعدها، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، ص ٢٦ وما بعدها.

(٦) المصادر نفسها . للمزيد انظر غيثان بن جريس " رسائل الإمام القاسم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م) (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م) (دراسة تاريخية " بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، البحرين، المنامة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص١٥٧-٢٥٠ .

(٧) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بدراسة الأشعار والرسائل التي كتبت حول الصراع بين الدولة الإمامية الزيدية في صعدة وبين النجرانيين خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

أرض نجران، لكن ذلك لم يحدث لعدم التوافق في الفكر العقدي، وأيضاً رغبة النجرانيين في الاستقلال بأنفسهم، وعدم رضوخهم لأي قوة أو سلطة خارجية[١].

٤. أبو علي الهجري، كتاب أنباء الزمن، والمقدسي (ق٣-٤هـ/ق٩-١٠م):

هارون بن زكريا، يعرف بأبي علي الهجري، وهو من بلاد هجر في أرض البحرين، عاش خلال القرنين (٣-٤هـ/٩-١٠م)، وكان عالما بالأنساب، والأدب والفقه والشعر، له الكثير من المؤلفات، ضاع معظمها، وبعضها مازال مدوناً في بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة. ومن أهم كتبه: التعليقات والنوادر، كان متناثرا في عدد من المصادر المطبوعة والمخطوطة، وقام حمد الجاسر بجمعها وتحقيقها ونشرها في أربعة مجلدات [٢]. وكتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة (٢٨٠إلى سنة ٣٢٢هـ) لمؤلفه يحيى بن الحسين بن القاسم[٣]. صححه ووضع حواشيه وقدم له، محمد عبدالله ماضي. والكتاب صغير الحجم يقع في (٨٠) صفحة، ومنشور في مكتبة الثقافة الدينية في اليمن، وجل مادته العلمية تدرس تاريخ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين[٤]. ومن جاء بعده وحكم مرتفعات اليمن، صنعاء وصعدة وما حولها، حتى عام (٣٢٢هـ/٩٣٣م) [٥].

والمقدسي يعرف بالبشاري، وهو أبو عبدالله بن أبي بكر، ولد في القدس، ولهذا عرف بالمقدسي، رحالة زار بلدان عديدة في العالم الإسلامي، ثم جمع رحلاته في كتاب سماه: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وقد دون هذا الكتاب في الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وكان عمره آنذاك حوالي أربعين عاما [٦].

دون ابو علي الهجري صفحة ونصف لها علاقة ببلاد نجران ومعظم ما سجله أشعار يذكر فيها نجران، ، ومما حفظه شعر للمجنون صاحب ليلي، قال فيه :

---

(١) المصادر والمراجع نفسها، للمزيد انظر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-١٦م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م)، ج٢، ص ٤٧١-٥٣٤.

(٢) انظر: كتاب التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري، دراسات ومختارات، ترتيب وإعداد حمد الجاسر (الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م). للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٤١-١٤٤. ج١٣، ص ٢٥.

(٣) مؤلف كتاب: أنباء الزمن في أخبار اليمن، هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، ولد عام (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)، وتوفي سنة (١١٨٠هـ/١٦٦٩م)، وقيل عام (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، له مؤلفات كثيرة، وأهمها كتاب (أنباء الزمن في أخبار اليمن)، ولم نطلع على هذا الكتاب حتى الآن، ومازال مخطوطا، وهو موسوعة تاريخية ضخمة تفصل الحديث عن تاريخ اليمن خلال العصور الإسلامية الوسيطة، وهذا الكتيب المذكور أعلاه مستل من مخطوطة الكتاب الرئيسي (أنباء الزمان في أخبار اليمن) وتفصيلاته شملت فقط اثنين وأربعين عاما (٢٨٠-٣٢٢هـ/ ٨٩٣ - ٩٣٣م)

(٤) للمزيد عن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، انظر القاضي عبدالله الجرافي اليمني. المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

(٥) يوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث.

(٦) قام دي خويه بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه ونشره في مطبعة بريل في ليدن عام (١٨٧٦م). للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٤٩-١٥٠. ج١٣، ص ٢٩.

ولـــو أن لـيـلـى في ذُرى متمنع بنجـران لالتفت عليّ قصـورها[١].

ولمزاحم العقيلي من قصيدة طويلة :

تُـريـك ذِرَاعـــي بـكـرة حارثـيـة بنجران، صينت أخلصتها المعاكفُ[٢]

ويقول تميم بن أبي مقبل يهجو النجاشي في نجران:

أقـــرت بـه نجـــرانُ ثـم حَـبَـوْنَـن فتثليث فالأرصـانُ[٣] فالقَرظَانِ [٤]

وأنشد شاعر لم يذكر اسمه :

فقولا لَها ما شِئتُما وامـزَحَـا بها كـأني مَـيْـتٌ أو بِـنَـجْـران غَـائـبُ[٥]

وقال زهير بن أحمد الحمالي العقيلي :

يمـان عـلـى نجـــران أول صـوبـه وأيـسـره يسـقـى بـجـود سـمـرقـنـدا
إذا مـا عـلـت أسـبـالـه وضـح الحمى إلى ثـهـمـد أرسـى بـهـا وتـزيّـدا[٦]

ولبعض لصوص قشير:

خـلـيـلـي سـيـرا سـيـرة وتـعـلـمـا تـنـاهـي نجـران وأعـلامـهـا الـغُـبـرَّا[٧]

ومن قصيدة للعائذي بن عقيل :

فـقـالـوا إلى خـــولان ثـم محـلـنـا يمـانـون مـن نجـران مجرى الجنايب
لـعـمـري مـا نجـران مـن أهـل حايل ولا سـاكـن الـعـمـقـين بـالمـتـقـارب[٨]

وجميع مادة كتاب (أنباء الزمن في أخبار اليمن) تدور حول التاريخ السياسي لليمن الأعلى لمدة (٤٢) عاماً (٢٨٠-٣٢٢هـ/٨٩٣-٩٣٣م)، ولا تخلو من شذرات تتعلق بتاريخ نجران وصلاتها مع أئمة اليمن[٩] . فيذكر أنه في عام (٢٨٤هـ/٨٩٧م) سار الهادي إلى الحق إلى نجران ومعه مجموعة كبيرة من خولان وغيرهم فلقيه أهل وادعة، وشاكر، ويام، وكانوا مستبشرين بقدومه، وذلك لما جرى بينهم وبين بني الحارث على أرض

(١) أبو علي الهجري، التعليقات والنوادر، القسم الثالث، ص ١٦١٢ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١٢ .
(٣) الأرصان : مجتمع ملتقى الواديين .
(٤) أبو علي الهجري، التعليقات والنوادر، القسم الثالث، ص ١٦١٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٦) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٧) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٨) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٩) انظر كتاب : أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ٧-٧١.

نجران من حروب وصراعات [١]، وعند لقائه ببني الحارث أصلح بينهم وبين أعدائهم، وأخذ عليهم المواثيق بالاتفاق وترك الحروب والصراع، وتبايع القوم على ذلك[٢]، وبقي في نجران بعض الوقت، ووضع عهداً لأهل الذمة من نصارى نجران وغيرهم فيما شروه من المسلمين التسع[٣]، وما شروه من الجاهلية فلا عليهم فيه شيء، وقررهم على الجزية في نجران [٤]. وفي عام (٢٨٦هـ/٨٩٩م) ثار أهل نجران ضد الهادي ورجاله الموجودين على أرض نجران، فأرسل إليهم من يحاربهم، ثم سار على رأس جيش كبير إلى نجران فقاتلهم وهزمهم ونكل بهم [٥]. وفي عام (٢٩٥هـ/٩٠٧م) هم بنو الحارث في نجران[٦]، بقتل عبيد الله عامل الهادي على بلادهم[٧]، فخرج إليهم الإمام الهادي فقاتلهم ونهب أموالهم، ودمر منازلهم [٨]، وفي عام (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) ثار بنو الحارث على أتباع الإمام الهادي، وقصدوا دار عامل الإمام فدخلوها وقتلوا جميع من فيها[٩].

ويشير المقدسي إلى جزيرة العرب وطبيعتها الجغرافية، ويسمى البلاد الممتدة من صنعاء إلى صعدة ونجران وجرش (نجد اليمن)، ويؤكد أن هذه البلاد، وأيضاً السروات الممتدة إلى الطائف عامرة بالمياه والزروع والأعناب [١٠]، ويشير إلى التجارات وأنواعها في اليمن والحجاز والسروات، ويذكر بعض السلع، والعملات المستخدمة، والتعاملات التجارية الأخرى[١١]. وأشار إلى بعض طرق الحج والتجارة التي تتصل بمكة وغيرها من البلدان، ومنها طريق الحجاز اليمن الجبلي، لكنه لم يشر إلى بلاد نجران على تلك الطريق[١٢]. ويقسم بلاد اليمن إلى قسمين. ما هو تهامي ساحلي نحو البحر ويعدد الكثير من مدن وحواضر تلك البلاد . وما كان ناحية الجبال، فهي باردة، وتسمى نجداً، قصبتها صنعاء،

---

(١) الدارس للمصادر اليمانية يجد معلومات كثيرة تفصل الحديث عن الحروب بين القبائل في صعدة وصنعاء ونجران. كما أن قبائل السروات من نجران إلى الطائف كانت هي الأخرى في صراعات وحروب دائمة .

(٢) أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ١٠-١١ .

(٣) للمزيد عن تاريخ أهل الذمة ونصارى نجران خلال القرون الإسلامية الأولى، انظر تفصيلات أكثر عن غيثان بن جريس. نجران (ق١-ق٤هـ) ،ج١، ص ٨١، ٢٢٨، ٤٧٩-٤٨٨، ٤٩٥-٥٠٠ .

(٤) أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ١١ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩. وتاريخ الأئمة الزيدية الأوائل مع أهل نجران، وما جرى بينهم من صراعات موضوع جديد لم يدرس ويستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية .

(٦) قبيلة بني الحارث بن كعب من القبائل العربية القوية التي حكمت نجران قرون عديدة منذ قبل الإسلام وخلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط. وظهر في هذه القبيلة أعلام كثيرون برعوا في السياسة والحرب، وفي الأدب والشعر واللغة. وتستحق أن يفرد لها دراسات عديدة .

(٧) الصلات السياسية والحضارية بين الدولة الزيدية في صعدة منذ عهد الهادي إلى الحق حتى القرن الرابع الهجري من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق البحث والدراسة في بحوث علمية عديدة .

(٨) انظر : أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ٥٠ .

(٩) المصدر نفسه، ص٥٠ .

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم (تحقيق دي خويه، ١٨٧٦م)، ص٩٤ .

(١١) المصدر نفسه، ص ٩٧-٩٩ .

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦ .

ومن مدنها صعدة، ونجران، وجُرش[١]. وهذا الرحالة غير دقيق في هذه المعلومات فهذه المدن ليست من نجد، وربما الأجزاء الشرقية من نجران تدخل ضمن الأوطان النجدية، أما جرش فهي من بلاد السراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف[٢] . وفي مواطن أخرى يذكر المقدسي مخاليف اليمن ويشير إلى بلاد يام، ووادعة، وشاكر، ونجران، وجرش، والسراة . ويؤكد على وجود أنواع الحبوب، والثمار، والنخيل في أرضها[٣] .

٥. الأميران الشريفان القاسم ومحمد، وأبو عبدالله البكري، والإمام أحمد بن سليمان، والإمام عبدالله بن حمزة (ق٥-٧هـ/ق١١-١٣م) .

هذان الأميران أبناء جعفر بن الإمام القاسم العياني، حكما اليمن الأعلى بعد موت عمهما الحسين ثم أبيهما عام (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، وبذلا جهوداً طيبة في إدارة بلادهما[٤]، وفي عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ظهر علي الصليحي[٥]، وسيطر على معظم مرتفعات اليمن، وأجبر هذين الشريفين على الخروج من بلادهما، فذهبا إلى مسقط رأس جدهما الإمام القاسم العياني في وادي ترج أعالي أرض بيشة، وبقيا هناك حوالي عقد من الزمان (٤٥١ - ٤٥٩هـ/١٠٩٥ - ١٠٦٦م)، ثم عادا بعد ذلك لمواصلة حربهما ضد الصليحيين[٦]. وقد كلف الأمير جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم العياني أحد الرجال المقربين من أبيه جعفر وعمه الحسين، ويدعى مفرح بن أحمد الربعي، بكتابة سيرة عمه ووالده[٧]، فقام بهذا العمل، وصدر في كتاب تحت عنوان : **سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين : القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني**[٨]. ومادة الكتاب تؤرخ لحياة الأميرين الشريفين في اليمن، وهناك بضع صفحات تذكر رحلتهما من اليمن عبر بلاد نجران وعسير حتى وصلوا وادي ترج[٩]. ولا نجد ذكراً كثيراً لبلاد نجران

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٩ .

(٢) نعم السروات تشمل بلاد وادعة، وقحطان، وأجزاء من شهران وقبائل عسير الرئيسية، وبلاد رجال الحجر، ثم القبائل العربية الواقعة إلى الشمال من مدينة النماص إلى الطائف. وهذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة العميقة، وآمل أن أقوم برحلة في ربوعها، وأسجل شيئاً من تاريخها وحضارتها القديمة والحديثة .

(٣) انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٦، ٨٧، ٨٨ .

(٤) للمزيد عن هذين الأميرين انظر مفرح بن أحمد الربعي . سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين (نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري). تحقيق ودراسة رضوان السيد، وعبد الغني محمود عبد العاطي (بيروت : دار المنتخب العربي) ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) (٤٠٠ صفحة) .

(٥) للمزيد عن تاريخ علي بن محمد الصليحي، انظر الجرافي اليمني، المقتطف في تاريخ اليمن، ص ١١٧- ١٢٢ .

(٦) انظر: غيثان بن جريس " بلاد السراة في كتاب: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم العياني (٤٥١-٤٥٩هـ/١٠٥٩-١٠٦٦م) (دراسة تاريخية تحليلية) " بحث منشور في الكتاب السادس من دراسات تاريخ الجزيرة العربية .(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٢٩-١٥٦. للمؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ)، ج٢، ص ٤٧١- ٥٣٤ .

(٧) غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٨) من منشورات دار المنتخب العربي في بيروت عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٣ وما بعدها، انظر ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٢- ٣٣٤، المؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج٢، ص ٤٧١ وما بعدهما .

في هذه السيرة، اللهم إلا نبذة مختصرة تشير إلى أجزاء من أرض نجران أثناء سفرهما من اليمن إلى بلاد بيشة، ويقول كاتب السيرة بعد خروجهم من اليمن إلى منطقة بدر في نجران "فلما صرنا إلى بدر لقونا ورحبوا بنا واقتسمونا[١]... فلما كان على جزء من الليل نهضنا سائرين حتى صرنا إلى قرية تسمي أنافيه[٢]، فسألهم الشريف[٣] الصحابة إلى الخطاب بن يعيش الجماعي[٤]، ففعلوا حتى أوصلونا إلى جانب بلاده ولقيونا إلى جانب منها فرحب وقرب، وعرض على الشريف الإقامة في بلده، فكره ذلك الشريف وعزم على المصير إلى ترج من بلاد خثعم "[٥]. ومن هذه النصوص يتضح أن هناك طرقاً مسلوكة بين نجران وبلاد اليمن الشمالية، ثم إن بعض هذه الدروب تتجه شمالاً إلى بلاد قحطان وشهران وما جاورها . ولا نجد في هذه السيرة ذكر حياة الناس في منطقة بدر وما حولها من أرض نجران، إلا أنها مستوطنة ببعض السكان المحليين، الذين لا يتأخرون في الترحيب بالضيف والقيام بواجبه، كما فعلوا مع الشريفين ورفاقهما .

والبكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز، أندلسي عاش في القرن (٥هـ/١١م)، وهو من أسرة ذات مستوى اجتماعي وإداري رفيع، اهتم بالقراءة والعلم منذ سن مبكرة، وتفوق في علوم ومعارف عديدة، ومن أهم كتبه في علم الجغرافيا : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع[٦]. ذكر قرى وأمكنة عديدة تقع في محيط نجران أو قريباً منه[٧]. ويعرف نجران، فيذكر أنها مدينة بالحجاز من شق اليمن، ثم يقول "أطيب البلاد : نجران من الحجاز" [٨]. وهذا التعريف غير دقيق لأن نجران تبعد عن قلب الحجاز نحو الجنوب مئات الكيلومترات . ويذكر عن الأصمعي قوله "نجران الحقول"[٩]. ويضيف "إذا بلغت نجران وجرش بلغت الزرع"[١٠]، ثم يختم حديثه بأن نجران وجرش أول حدود اليمن"[١١]. وما من شك أن جرش ونجران، أرض الحقول والمزارع المتنوعة، وتقع إلى الشمال من حاضرتي صنعاء وصعدة اليمنيتين[١٢]. ويذكر دير نجران، والمعروف باسم "

---

(١) اقتسمونا : أي وزعونا على البيوت وقت النوم والراحة .

(٢) أنافية : لا نعلم أين يقع هذا المكان، لكن ما من شك أنه في بلاد نجران أو قريب منها .

(٣) يقصد بالشريف : أي الأمير الشريف القاسم بن جعفر بن الإمام العياني .

(٤) الجماعي : نسبة إلى بني جماعة من قبائل خولان بن عامر .

(٥) مفرح بن أحمد الربعي، سيرة الأميرين، ١٢٠-١٢١ .

(٦) يقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء في مجلدين، قام بدراسته وتحقيقه مصطفى السقا، وطبع في بيروت عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

(٧) المصدر نفسه، مج١، ج٨، ص ١٢١، ٣٠٥، ٣٠٨، ج٢، ص ٤٢١ . مج٢، ج٣، ص ٧٣٢، ٧٤٠، ج٤، ١١٤٠، ١١٥٢ .

(٨) انظر البكري، مج٢، ج٤، ص ١٢٩٨- ١٢٩٩ .

(٩) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ١١٢٩.

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) البكري، معجم ما استعجم، مج١، ج٢، ص ٦٠٣ .

كعبة نجران"، وسدنتها آل عبد المدانٍ بن العريان، سادة بني الحارث بن كعبٍ[١]. ويصف بناء هذه الكعبة، فيذكر أنه كان مربعاً مستوي الأضلاع والأقطار، مرتفعاً عن الأرض، يصعد إليه بدرجة، ويحج إليه طوائف من العرب[٢]. كما أشار إلى موضع رعاش، وهو من مواطن نصارى نجران[٣]، وقد كتب لهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقال: " من عمر أمير المؤمنين، إلى أهل رعاش كلهم . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم، وإنه من يتب منكم ويصلح لا يضره ارتداده، ومن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتي منه برية، ممن وجدنا عشراً تبقى من شهر الصوم بنجران"[٤].

والإمام أحمد بن سليمان بن محمد، من سلالة الهادي إلى الحق بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب . من أهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ولد في صعدة عام (٥٠٠هـ/١١٠٦م)، وحكم اليمن أكثر من ثلاثة عقود (٥٣٢-٥٦٦هـ/١١٣٧-١١٧٠م)، وامتد نفوذه إلى صنعاء ونجران وزبيد في تهامة. كان شاعراً وأديباً، وله مؤلفات عديدة في علوم اللغة والشريعة. كتبت سيرة هذا الإمام تحت عنوان : **سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان**، لكاتبها سليمان بن يحيى الثقفي، ودرست وحققت ونشرت عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٢م)[٥]. ويوجد في هذه السيرة تفصيلات تاريخية عن اليمن خلال حكم هذا الإمام، كما يوجد فيها معلومات كثيرة ومتفرقة عن صلات اليمن ببلاد نجران . ونجمل أهمية هذه المعلومات في النقاط التالية :

١- كان مقر هذا الإمام (أحمد بن سليمان) في صعدة، لكنه على اتصال دائم بأهل نجران ومن حولهم من بلاد وادعة وسروات قحطان[٦]، وكان يسعى، مثل الأئمة الزيدية الذين سبقوه إلى مد نفوذه على الأوطان النجرانية وما حولها من بلاد السروات[٧]،

---

(١) يذكر البكري تفصيلات كثيرة عن هذه الكعبة وتعديلها من قبل بني الحارث بن كعب . معجم ما استعجم، مج١، ج٢، ص ٦٠٣ .

(٢) المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص ٦٦٠ .

(٣) المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص ٦٦٠ .

(٤) للمزيد انظر: الجرافي اليمني، المقتطف، ص ١٧٨-١٧٩، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٥ . انظر أيضاً عبدالواسع الواسعي . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والأحزان في حوادث وتاريخ اليمن . (صنعاء : الدار اليمنية للنشر، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م)، ص ١٧٨ وما بعدها .

(٥) كانت هذه السيرة مخطوطة في جامع صنعاء الكبير، وقام بدراستها وتحقيقها الدكتور/ عبد الغني محمود عبد العاطي، ونشرتها دار عين للدراسات والبحوث في القاهرة عام (٢٠٠٢م)، تقع في (٣٤٧) صفحة من القطع المتوسط .

(٦) للأسف عندما نبحث عن تاريخ وحضارة بلاد وادعة وقحطان خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، فإننا لا نجد عنها شيئاً محفوظاً أو مدوناً، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي، والسائح في هذه البلاد . يتبين له عراقة هذه الأوطان من خلال حصونها وقلاعها، وآبارها ومزارعها، وأعرافها وعاداتها ولهجات أهلها وغير ذلك من الشواهد التي مازالت ملموسة وواضحة

(٧) للمزيد عن تاريخ الإمام أحمد بن سليمان وصلاته مع النجرانيين ومن حولهم، انظر سيرته، ص ٣٢، ٣٩-٤٤، ٥٧-٦٦، ٨١-٨٨، ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١٠٧، ١٢٦، ١٣٠-١٣٢، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٦٣، ٢٧٧، ٣٠٤ .

واستطاع أحياناً الإقامة والسيطرة على بعض الأمكنة، لكن أهل البلاد كانوا في حرب مستمرة معه، وهم دائما في كر وفر. ولا تخلو ديار نجران من مؤيدين ومتعاونين مع الإمام، فهم يطلبون منه القدوم إلى أوطانهم، إلا أن قبيلة بني الحارث بن كعب كانت واقفة بالمرصاد لدحر الدولة الزيدية التي كان معظم أئمتها يبذلون قصارى جهودهم في السيطرة على نجران [١].

٢. الدارس لتاريخ نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة (ق١١-٣هـ/ق١٧-٩م) لا يجد تاريخاً واضحاً لنجران وأهلها، وما تحتوي عليه سيرة أحمد بن سليمان من معلومات تعد فائدة عظيمة أن نعرف شذرات من التاريخ السياسي والحضاري للبلاد النجرانية، التي عرفت العديد من الأديان، والأمم، والأحداث التاريخية. وإذا كانت جل المادة المحفوظة في هذه السيرة تركز على الحروب والحراك السياسي والعسكري، إلا أنها لا تخلو من إشارة قيمة وقليلة عن أسماء بعض الأعلام في نجران خلال القرن السادس الهجري، وصور من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبعض المعوقات مثل انتشار الجوع والفقر. وحلول الجدب والقحط أحياناً، وبعض الآثار السلبية التي تخلفها الحروب والصراعات بين النجرانيين ورجالات الأئمة الزيدية الذين يأتون من صعدة وما حولها بهدف السيطرة على نجران والإقامة فيها. كما لا تخلو السيرة من لمحات علمية وأدبية وقصائد شعرية يذكر فيها بعض أعلام أو معالم نجران[٢].

والإمام عبد لله بن حمزة، المعروف بالإمام المنصور بالله، وينتسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، عاش في بلاد الجوف باليمن وعاصر السلطان طغتكين الأيوبي (٥٧٩-٥٩٣هـ/ ١١٨٣-١١٩٦م)، وقد عانى الإمام أثناء نفوذ وسطوة السلطان الأيوبي في اليمن، وبعد موته استطاع توسيع نفوذه في أرض اليمن وإلحاق الهزائم بالأيوبيين[٣]. والإمام المنصور بالله، عبد الله بن حمزة صاحب علم وبيان وثقافة، وله العديد من المؤلفات[٤]، أما سيرته فقد كتبها أحد أتباعه، وهو: فاضل بن عباس بن علي بن محمد بن أبي القاسم، المعروف بأبي فراس بن دعثم، وجمع مادتها ودرسها وحفظها الدكتور/ عبدالغني محمود عبد العاطي، ونشرها في مجلدين، بعنوان: **السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣-٦١٤هـ /١١٦-١٢١٧م)**، وطبعت في دار الفكر ببيروت عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، وتقع في حوال (١٠٤٠) صفحة من القطع المتوسط، مشمولة بالحواشي، والفهارس، والمقدمة [٥]. وسيرة الإمام المنصور لا تختلف

---

(١) للمزيد انظر: الصفحات الآنف ذكرها في الحاشية السابقة. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ نجران خلال حكم الإمام أحمد بن سليمان.

(٢) للمزيد انظر: الصفحات الآنف ذكرها في الحواشي السابقة.

(٣) لمزيد من التفصيلات عن نفوذ الأيوبيين في اليمن، انظر الجرا في اليمني، المقتطف، ص١٢٧ وما بعدها، محمد علي مسفر عسيري. الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩-٦٢٦هـ)، (جدة: دار المدني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٣٧ وما بعدها.

(٤) من مؤلفاته: كتاب الشافي، ويقع في أربعة مجلدات. انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص٣٣٨.

(٥) للمزيد من الشروحات عن تاريخ الإمام وإنجازاته انظر: كتاب السيرة الآنف ذكره أعلاه.

كثيراً عن سيرة الإمام أحمد بن سليمان بخصوص بلاد نجران وما جاورها من أوطان وادعة وقحطان، ففي أكثر من عشرين صفحة متفرقة في كتاب سيرة الإمام المنصور بالله يوجد ذكر وإشارات عديدة عن علاقة دولة هذا الإمام بالنجرانيين[١]. فلم يتوقف الإمام عبد الله بن حمزة من السعي إلى مد نفوذه إلى نجران، وإرسال رجال وعتاد إلى الديار النجرانية من أجل السيطرة عليها ،أو على أجزاء منها، وعند انتصاره وهيمنته على بلاد نجرانية يعين عليها من يدير شؤونها، لكن النجرانيين، وبخاصة قبائل بنو الحارث بن كعب يقاومون هذا الغزو الزيدي، ويطردونهم . وكانت الحرب سجالاً بينهم وهم معظم الأوقات في صراعات دائمة . وهذه الحروب أثرت سلباً على استقرار الناس في نجران، ونالهم الكثير من الخراب والدمار في عقاراتهم ومزارعهم وممتلكاتهم [٢].

٦. الإدريسي، وياقوت الحموي، والقزويني، وابن المجاور (ق٥-٧هـ/ ق١١-ق١٣م).

محمد الإدريسي ولد في بلاد المغرب في مدينة سبتة عام (٤٩٣هـ/١١٠٠م)، قضى معظم حياته في الترحال، وزار بلداناً عديدة في قارات آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، وجمع رحلاته في كتاب أسماه : **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، وبقي هذا الكتاب ينسب لفترة طويلة إلى ملك صقلية روجر الثاني، فيقال " (كتاب رجار) ، أو (الكتاب الرجاري)، لأن هذا الملك استضاف الإدريسي، وشجعه، ودعمه على تأليف هذه الرحلة، وطبع الكتاب عدة مرات، وترجم إلى لغات عديدة [٣]. أما ياقوت الحموي فولد في بلاد الروم سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، كان رقيقاً بيع في أسواق بغداد، اشتراه تاجر بغدادي أصله من حماة اسمه عسكر بن إبراهيم فنسب ياقوت إليه وغلب عليه اسم (الحموي) اعتق من الرق عام (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، وبقي يعمل مع سيده حتى مات الأخير، ثم ذهب ياقوت في رحلات عديدة إلى الشام، ومصر، وآسيا الصغرى، وجزيرة العرب، وإيران، وبلاد ما وراء النهر، واستقر في خوارزم، وبدأ في تأليف كتابه **(معجم البلدان)**، ويذكر أنه انتهى منه في عام (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، ومات في حلب سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وله مؤلفات أخرى عديدة، لكن الذي يهمنا مؤلفه **(معجم البلدان)**، الذي حقق وطبع أكثر من مرة، أما الطبعة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة فهي طبعة داري صادر وبيروت في لبنان عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) [٤].

---

(١) للمزيد انظر كتاب (السيرة الشريفة المنصورية ...)، ج١، ص ٦٤، ١٧٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٥٤، ٤٠١، ٤٢٤. ج٢، ص ٥٠٧، ٥٢٨، ٦٨٧، ٦٩٣، ٧٩٨ - ٨٠٠، ٨٦٦، ٩٠٦، ٩٤٢ .

(٢) إن الدارس للصلات بين بلاد نجران وصعدة منذ القرن (٣-١٢هـ/٩ - ١٨م)، يجد أن الصراعات والحروب كانت مستمرة بينهم، ودوافع تلك الحروب عقدية واقتصادية، فالدولة الزيدية في صعدة وصنعاء كانت ترغب مد نفوذها الزيدي على نجران، وأهل نجران لم يرضوا بذلك، حيث كانوا في بادئ الأمر شوافع، ثم جاءت الدعوة الإسماعيلية ومدت نفوذها على أجزاء من بلاد نجران وبخاصة بين قبائل يام . كما أن الأئمة الزيديين كانوا يتطلعون للسيطرة على نجران لما تتميز به من ثروات زراعية وحيوانية وغيرها . اما الخراب الذي كان يصيب أرض نجران بسبب تلك الحروب، فهو يتفاوت من حكم إمام لآخر، إلا ان الدمار والتلف كان مستمرا في مزارع وعقارات النجرانيين، لأن الزيديين عندما يصلون إلى ديار نجران يجدون مقاومات عنيفة من أهل البلاد، فلا يتورعون من إحراق مزارعهم، وهدم منازلهم وأسواقهم نكاية بهم وتأديبا لهم .

(٣) النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، طبعة عالم الكتب، بيروت عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

(٤) انظر الطبعة نفسها، للمزيد انظر: رمضان أحمد رمضان . الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٧٧-١٨٨، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٥٧-١٥٨. ج١٣، ص ٣٢-٣٣ .

والقزويني، هو أبو عبدالله زكريا، ويعرف بالأنصاري، ولد في مدينة قزوين سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، سافر إلى بلدان عديدة في فارس، والشام، والعراق، وتولى القضاء في مدينة واسط أيام الخليفة المستعصم العباسي، آخر خلفاء بني العباس (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)، له مؤلفات، ومنها الذي يهمنا في هذا البحث: آثار البلاد وأخبار العباد، قام بنشره وتحقيقه المستشرق وستنفلد، واعتمدنا على طبعة بيروت التي صدرت عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) [١]. وابن المجاور يوسف بن يعقوب من أهل القرن السابع الهجري، ولد عام (٦٠١هـ/١٢٠٧م)، وهناك من ينسبه إلى بلاد الشام، وآخرون يرجعون نسبه إلى فارس. وله كتاب: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ويعرف أيضا باسم (تاريخ المستبصر)، درسه وعلق عليه المستشرق أوسكار لوفغرين، وطبع في مطابع بريل في ليدن عام (١٩٥١م). والكتاب يقع في جزئين في مجلد واحد[٢].

يذكر الإدريسي بلاد نجران وتهامة وإطلالتها على البحر الأحمر من الشرق، ويأتي شرقها جبال السروات، ويشير إلى أنه يقع ضمن هذه الجبال مدن عديدة مثل: صعدة، وجرش، ونجران[٣]. ويعدد هذا الرحالة مخاليف مكة، ، ويطلق عليها اسم (الحصون) ويقول منها: "بنجد الطائف، ونجران، وقرن المنازل، وعكاظ، وتربة، وبيشة، وكتنة، وجرش، والسراة"[٤]. وجميع هذه البلدان تقع ضمن بلاد السروات، ما عدا نجران فأجزاءها الشمالية والشرقية تدخل في أوطان نجد وما جاورها. ويصف نجران وحواضر أخرى قريبة منها، فيقول: "مدينة جرش، ومدينة خيوان، ومدينة نجران كلها بلاد تتقارب في المقدار والعمارة، وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة، ولها مزارع، وضياع، ومكاسب، وتجارات يتقلبون فيها ويتعيشون منها، وبين جرش وخيوان ونجران ست مراحل، وكذلك من جرش إلى نجران مثل ذلك"[٥]. ويذكر نجران وجرش في مكان آخر فيقول: "جرش ونجران متقاربتان في الكبر وبهما نخل كثير، وبهما مدابغ للجلود، وهي بضائعهم، وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك"[٦].

ودون ياقوت الحموي بعض الآراء حول تسمية نجران بهذا الاسم، ثم أورد شروحاً عن وضع بلاد نجران قبل الإسلام، وعن الديانات التي كانت موجودة فيها، وسبب قتل

---

(١) للمزيد عن القزويني انظر الصفحات الأولى في كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد)، ص ٣ وما بعدها، أحمد رمضان أحمد الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٩٧، وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٣، ص ٣٥- ٣٦.

(٢) انظر الكتاب نفسه، وللمزيد انظر بشير إبراهيم بشير. "ابن المجاور: دراسة تقويمية لكتابه (تاريخ المستبصر). بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض (الملك سعود) (١٠-٥ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني)، ص ٤١- ٦٠.

(٣) هناك رحالون آخرون مثل: الإدريسي لم يزوروا هذه المدن، ولم يشاهدوا أرضها ويلتقوا بسكانها، لكنهم نقلوا معلوماتهم من مصادر أو رواة آخرين. والبلاد الممتدة من نجران إلى الطائف مأهولة بالسكان ويوجد فيها عشرات القرى والمدن والبلدان القديمة في تاريخها وحضارتها، لكنها مازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية وأثرية تكشف شيئا من حضارتها خلال العصور القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٥.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٥١.

(٦) نعم مناطق جرش (عسير) ونجران غنية بمواردها الطبيعية، وثرواتها الزراعية والحيوانية، وأهلها أهل شجاعة وبأس، وأصحاب كرم ونخوة، ومروءة، وهم جديرون إلى أن يصدر عنهم عشرات البحوث العلمية.

نصارى نجران وإحراقهم في الأخدود [١]. وكان الأعشى يتردد على نجران قبل الإسلام، ويمدح أعيانها ورموزها، وأغلبهم من النصارى، فيقول :

وكعبة نجران حتم عليـ ... ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيداً وعبد المسيح ... وقيساً همو خير أربابها
وشاهدنا الورد والياسمـ ... ـين والمسمعات بقصابها[٢]

وكعبة نجران بناها بنو عبدالمدان بن الديان من بني كعب بلحارث على هيئة بناء الكعبة في مكة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة، وهم الذين قابلوا الرسول ﷺ في المدينة، ودعاهم إلى المباهلة[٣].

وفصل ياقوت بناء هذه الكعبة، وأشار إلى نصارى نجران في صدر الإسلام، ومقابلتهم للرسول ﷺ، ومكاتبتهم على دفع الجزية، وكيف أخرجهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من نجران إلى الكوفة بأرض العراق[٤]. وذكر بعضاً من الأشعار التي قيلت في نجران، ومنها قول أعرابي :

لا تكونوا قد غبتم وحضرنا ... ونزلنا أرضاً بها الأسواق
واضعاً في سراة نجران رحلي ... ناعماً غير أني مشتاق

وقال عطارد بن قرن، أحد اللصوص، وكان قد أخذ وحبس بنجران: [٥]

يطول علي الليل حتى أمله ... فأجلس والنهدي عندي جالس
كلانا به كبلان يرسف فيهما ... ومستحكم الأقفال أسمر يابس
تذكرت هل لي من حميم يهمه ... بنجران كبلاي اللذان أمارس
فأما بنو عبد المدان فإنهم ... عبيد العصا لو صبحتكم فوارس

وينقل القزويني معلوماته عن نجران من مصادر سبقته، مثل ياقوت الحموي وغيره، ويذكر أن نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة، بناها نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب، ويورد تفصيلات عن شهداء نجران قبل الإسلام، وكيف تم قتلهم وإحراقهم[٦]، ويسجل ما كتبه ابن الكلبي عن كعبة نجران، فقال: " أنها كانت قبة من أدم من ثلاثمائة جلد، إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت حاجته، أو مسترفد أرفد .. "[٧].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٦-٢٦٨ . انظر القرآن الكريم (سورة البروج) الآيات (١ - ٨).
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٨ .
(٣) انظر: سورة آل عمران، الآيات (٦١-٦٦) .
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٩-٢٧١ . للمزيد انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ)، ج١ ، ص٥١ وما بعدها .
(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٧٠-٢٧١ .
(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٢٦ .
(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٦ .

وكتاب ابن المجاور (تاريخ المستبصر) يشتمل على معلومات جيدة عن تركيبة الأرض والسكان في المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف، فذكر تعدد القرى والعشائر في هذه البلاد، وذكر أنهم كانوا مستقلين في جميع أمورهم، ويدير شؤونهم شيوخهم وأعيانهم، ونوه إلى رخاء أرضهم فهم المصدر الرئيسي في تصدير الحبوب والمواشي إلى أسواق الحجاز، ولم يغفل الإشارة إلى منازلهم وقراهم المبنية بالحجر والجص، وفي قراهم المنازل الصغيرة والمتوسطة والقصور والحصون كل حسب إمكاناته المادية، ويفهم من ذلك أنهم أصحاب تمدن وحضارة، حتى وإن عاشوا في عزلة بسبب صعوبة تضاريس بلادهم[١]. ويشير إلى الطريق التي تخرج من نجران إلى نجد، كما يسرد المحطات والمسافات على الطريق التي تخرج من أرض يام في نجران إلى بلاد وادعة، ورفيدة، وطريب وأجزاء أخرى في سروات عسير[٢]. وفي عنوان جانبي سماه: من صعدة إلى نجران، أشار إلى بعض الأمكنة في منطقة نجران، ودون طبيعة الجانب العقدي في نجران خلال القرن (٧هـ/١٣م)، فقال: " مدينة الأصل نجران، وعليها المعول في البيع والشراء، وينقسم أهلها إلى ثلاث ملل : ثلث يهود، وثلث نصارى، وثلث مسلمين . فالمسلمون الذين بها ينقسمون على ثلاث مذاهب : ثلث شافعية، وثلث زيدية، وثلث مالكية "[٣].

وهذا الوصف نادراً ما نجده عند غيره، وقد أسدى لنا هذا الرحالة فضلاً كبيراً أن أطلعنا على صورة ناقصة عن التركيبة السكانية في بلاد نجران خلال القرون الإسلامية والوسيطة، فلم يكن جميع السكان مسلمين، وإنما شاركهم أصحاب عقائد سماوية أخرى كاليهود والنصارى، مع أن أغلبهم من أصل عربي، وربما بعض النصارى واحتمال اليهود قد جاءوا إلى نجران من بلدان غير عربية وإسلامية[٤].

٧. أبو الفداء، ابن فضل الله، تاج الدين عبد الباقي، كتاب نور المعارف (ق٧-ق١٠هـ/ق١٣-ق١٦م)[٥]

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب من مواليد مدينة دمشق عام (٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، وأبو الفداء من أسرة رفيعة المستوى في بلاد الشام، فكان جده

---

(١) للمزيد انظر : ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص ٢٦، ٢٧، ٣٧-٣٨، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٩-٣٤١ .

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج٢، ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤) ما أشبه الليلة بالبارحة فالسائح اليوم في عموم بلاد نجران، او الجنوب السعودي، أو المملكة العربية السعودية يجد معظم سكان البلاد عربا مسلمين، إلا أنه يخالطهم أيضا أجناس غير عربية وغير مسلمة، فهناك بعض النصارى، والبوذيين، والمجوس، ولا يستبعد أن يكون هناك من يدين بالديانة اليهودية، إلا أنهم مستترين تحت أسماء وجنسيات أخرى.

(٥) ذكرنا من القرن (٧-١٠هـ/ق١٣-١٦م)، وهذه الفترة في عموم شبه الجزيرة العربية مجهولة إلى درجة كبيرة، وإن ذُكرت بعض المدن والحواضر في اليمن، أو الحجاز، أو البحرين فلا يتجاوز ذكرها شذرات قليلة جدا لا تعطينا صورة واضحة عن تاريخ البلاد والناس . وهناك بعض المصادر الحجازية واليمنية أشارت بشكل محدود إلى أمكنة وأحداث في بلاد نجران وتهامة والسراة ونجران، وأبو الفداء، وابن فضل الله، وتاج الدين عبد الباقي من أولئك الذين أشاروا بشكل خجول إلى تضاريس وثروات وتاريخ السروات، ومصادر أخرى قليلة فعلت مثل ما فعلوا . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا، بقسم التاريخ، جامعة الملك خالد فيجمع هذه النتف والشذرات المتناثرة في مصادر العصور الإسلامية الوسيطة .

أميراً على حلب، وتقلد أبو الفداء بعض الأعمال الإدارية في عصر المماليك، ومن آخر أعماله أن أصبح حاكماً لمدينة حماة، ولقب بالملك المؤيد سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) [١]. وألف أبو الفداء بعض الكتب، ومنها كتاب (تقويم البلدان)، ويحتوي على معلومات قيمة في علوم التاريخ، والرياضيات، والجغرافيا، ويعد أبو الفداء من أعظم مؤرخي وجغرافي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، ترجمت نبذ من كتابه (تقويم البلدان) إلى بعض اللغات الأوروبية، كما نشر كاملاً لأول مرة في باريس عام (١٨٤٨م) [٢]. ويشير أبو الفداء إلى نجران، فيقول : " نجران بليدة بها نخيل، وتشتمل على أحياء من اليمن، ويتخذ بها الأدم، وهي عن صنعاء عشر مراحل، ونجران بين عدن وحضرموت، في جبال ولها أشجار، ويسير من مكة إلى نجران في نحو عشرين يومياً، في طريق معتدل، ونجران من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمائر ومياه "[٣]. ويظهر على نصوص أبو الفداء عدم الدقة في المعلومات، فهو ينقل ويسمع من الآخرين، ولم يزر نجران، فأعظم القبائل التي تقطن نجران من يام وليس همدان، وقوله إن الطريق بين مكة ونجران معتدلة، فهذا قول غير صحيح، وإنما هي طريق صعبة ووعرة في حزونها ومسالكها، ونجران ليست أحياء من اليمن، وإنما كانت بلاد مستقلة في شؤونها السياسية والإدارية، مع أن الأئمة الزيديين كانوا يسعون للسيطرة عليها، لكنهم لم يستطيعوا، وإن دخلها بعضهم لفترة محدودة، فالنجرانيون يحاربونهم حتى يخرجوهم من بلادهم [٤].

وابن فضل الله العمري من مواليد بلاد الشام عام (٧٠٠هـ/١٣٠١م)، عاش في دمشق، وتولى بعض الأعمال في عصر دولة المماليك، وألف كتب عديدة، من أهمها موسوعته الموسومة : **مسالك الإبصار في ممالك الأمصار**، تقع في عدة مجلدات، والجزء الذي يخصنا، يدرس ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، حققه أيمن فؤاد سيد، وطبعه ونشره المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة[٥] . ولا نجد هذا المؤرخ والرحالة يذكر شيئاً مستقلاً عن بلاد نجران، لكنه يتحدث عن بلاد اليمن وحكامها من بني رسول في تعز والأجزاء الساحلية والتهامية، ودولة الأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء، ويشير إلى بلاد السروات الممتدة من صعدة إلى الطائف[٦]. ومما ذكره عن هذه البلاد الواسعة نكاد ندرك شيئاً من تاريخ أرض وسكان نجران، فذكر مناخ نجود اليمن ونجران، فهي باردة

---

(١) انظر : أحمد رمضان أحمد . الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٩٧-٢٠٨، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٢، ص ٣٨.

(٢) الذي اعتنى بمراجعة هذه الطبعة وتصحيحها رينود والبارون ماك كوكين دي سلان، وطبع بدار الطباعة السلطانية في باريس، ثم صورته دار صادر في بيروت وأعادت نشره .

(٣) انظر : أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٩٢- ٩٣ .

(٤) الصراع بين النجرانيين والأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء كان مستمراً خلال القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل العصر الحديث، والزيديون طامعون في السيطرة على أرض نجران، لكنهم لم يحققوا ذلك، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين .

(٥) الكتاب يقع في أكثر من (٢٠٠) صفحة من القطع الكبير، وتاريخ النشر غير معروف .

(٦) انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٤٩- ١٧٠.

الهواء طيبة المسكن[١]، وأشار إلى شمال اليمن وتكثر فيها الحصون والقلاع الحصينة[٢]، والقلاع والحصون موجودة في معظم بلاد السراة من صنعاء إلى الطائف. ومن حيوانات مرتفعات اليمن ونجران والسراة الجمال، والحمير، والخيول، وأنواع الدواب من البقر والغنم والطير[٣]، ويؤكد على كثرة الأمطار في جبال اليمن والسروات ونجران[٤]. ويذكر نقلاً عن بعض الرواة، صوراً من حياة الأسواق والبيع والشراء في مدن وحواضر اليمن ونجران وربما السروات، فلم يكن هناك أسواق دائمة، وإنما يعقد يوم في الأسبوع وربما الشهر تجلب فيه الأجلاب، ويخرج أرباب الصناعات والبضائع بضائعهم على اختلافها، وتقام الأسواق الأسبوعية أو الشهرية، ويُباع فيها ويُشترى، ويذكر أن المعمولات من المآكل في الأسواق قليلة، ومن أراد شيئاً عمله بنفسه[٥]. وهذه الأسواق التي يرصدها ابن فضل الله العمري كانت هي السائدة في عموم شبه الجزيرة العربية إلى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، واليوم أصبحت الأسواق حديثة وعصرية وتعمل طوال النهار وساعات من الليل، وتنوعت في أماكنها ومساحاتها، وإداراتها، وبضائعها[٦]، ويشير إلى طبقات المجتمع في السكن وضروريات الحياة، ويؤكد على أن أعيان القوم من الشيوخ والأمراء والأغنياء يعيشون حياة رغيدة وطيبة مقارنة بالفقراء والمعوزين[٧]. ويصف السكان والأرض الممتدة من صعدة ونجران إلى الطائف، فيقول عنهم " جبال شامخة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى، وليست الواحدة تعلق بالأخرى، لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضمهم ملك ولا يجمعهم حكم سلطان، ولا تخلو قرية منها من أشجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز، ولها زرع أكثرها الشعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب وضاقت بها الحظائر[٨]"، وقال عنهم أيضا: " أنهم أهل نجدة وبأس، وشجاعة ورأي، غير أن عددهم قليل، وسلاحهم ليس بكثير، لضيق أيديهم، وقلة دخل بلادهم "[٩].

وتاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني المخزومي، ولد في مكة سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)، وقيل في عدن، كان شغوفاً بالرحلة، سافر من عدن إلى الحجاز،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٦.
(٦) حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون الأسواق القديمة والحديثة في هيئة بحوث مقارنة، وهذا الموضوع جديد وجدير ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية.
(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٥٩.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٧.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٦٨. هذه الشروحات التي يذكرها ابن فضل الله عن أهل نجران والسروات خلال القرن (٨هـ/١٤م)، عاصرتها وشاهدت أهل هذه البلاد يعيشون ويمارسون ما ذكر في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م).

وسار إلى مصر والشام، ثم عاد إلى اليمن وتولى منصب الإنشاء في عصر الملك المؤيد الرسولي في العقدين الثاني والثالث من القرن (٨هـ/ ١٤م)، ولم تطل إقامته في اليمن بسبب الصراعات على السلطة بين أبناء الدولة الرسولية، وتوفي في بلاد الشام عام (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) . له مؤلفات كثيرة منها : **(١) الاكتفاء بحل ألفاظ الشفاء . (٢) مختصر الصحاح . (٣) مطرب السمع في حديث أم زرع. (٤) إشارة التعيين في طبقات النحاة واللغويين . (٥) مقامة بعنوان : خلاصة الحكم في المفاضلة بين السيف والقلم**[١]، وكتابه: **(بهجة الزمن في تاريخ اليمن)**، ألفه الملك الظاهر أسد الدين بن أيوب، وقام عبدالله محمد الحبشي، ومحمد أحمد السنباني بدراسة مخطوطة هذا الكتاب ونشرها في دار الحكمة اليمانية عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)[٢]، والكتاب يقع في (٣٣٥) صفحة من القطع المتوسط ،تحدث فيه المؤلف عن تاريخ اليمن منذ فجر الإسلام حتى العقد الثالث من القرن (٨هـ/ق١٤م)[٣]. وسجل بعض الأحداث السياسية التي ورد لنجران ذكر فيها . ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١- ٦٧٩م) سير جيشاً إلى اليمن ونجران والسراة تحت قيادة بسر بن أرطأة الفهري من أجل السيطرة عليها، وعند وصوله إلى الطائف والسراة ونجران تصدى له بعض رجالها فقاتلهم بسر وخرب الكثير من دورهم وعقاراتهم[٤]. ويشير هذا المؤرخ إلى الدولة الزيادية في زبيد (٢٠٣-٤١٢هـ/٨١٨-١٠٢١م)، ويؤكد أن حكامها مدوا نفوذهم إلى نجران والسروات[٥]. وربما كان نفوذ هذه الدويلة في نجران والجبال شكلياً وليس فعلياً، لأن القبائل وشيوخها هم أصحاب السيطرة الفعلية على بلادهم . وهذا ما ذكرته مصادر القرون الإسلامية الوسيطة، وما سجلته وأكدت عليه الوثائق في العصر الحديث من القرن(١٠-١٤هـ/ ق١٦-٢٠م)[٦]، وفي نهاية القرن (٤هـ/١٠م) يذكر ابن عبدالمجيد الإمام المنصور القاسم العياني، الذي ترك مسقط رأسه في وادي ترج وذهب إلى صعدة، وصار إماماً للدولة الزيدية لبضع سنوات، ومحاربته لأهل نجران عندما خالفوه وثاروا ضده، قال: " فجمع لهم جمعاً عظيماً، وسير إليه ابن أبي الفتوح ابن عمه الموفق بن يوسف، وسارت إليه حاشد وبكيل أبناء همدان، والزيدي في أهل صنعاء، وسار نحو نجران في جموعه فهدم

---

(١) للمزيد انظر: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد . بهجة الزمن في تاريخ اليمن (صنعاء : دار الحكمة اليمانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه، والكتاب يقع في (٣٣٥) صفحة .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨ .

(٦) هناك مصادر قديمة مثل: مؤلفات ناصر خسرو، وابن جبير، وابن المجاور، وابن فضل الله العمري، والنويري، وغيرها أكدت على استقلالية بلاد السروات ونجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة. أما الوثائق الحديثة فذكرت الكثير من الأمثلة التي تدور حول الحروب والصراعات القبلية في شبه الجزيرة العربية، وكيف كانت القبائل تتحالف وتتكتل ضد بعضها البعض، وكل عشيرة أو قبيلة تحافظ وتدافع عن استقلالها في أرضها .

بها عدة حصون ،وأسر منهم جماعة كثيرة، ثم رجع إلى عيان"[١]. ويذكر بعض حكام صنعاء ومأرب وصعدة في عصر الدولة الصليحية (٤٢٩-٥٦٩هـ/١٠٣٧-١١٧٣م) وبعد سقوطها، ومناوشاتهم السياسية والحربية مع أهل نجران[٢] .

وكتاب: **(نور المعارف)** لمؤلف مجهول يدرس التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد اليمن بشكل خاص، وللعالم الإسلامي بشكل عام [٣]، ومادة هذا الكتاب تشتمل على وثائق قانونية ومالية تم تجميعها في آخر عهد السلطان المظفر الرسولي (٦٩٤-٦٩٥هـ/١٢٩٤-١٢٩٥م)، وهي تصور الطرق والأدوات التي استخدمتها إدارة الدولة الرسولية من أجل إرساء سلطاتها الضريبية على سائر القطاعات الاقتصادية، وقد سجلت جوانب متعددة من الحياة الحضارية في اليمن في القرن (٧هـ/١٣م) [٤]، مثل: تنظيم الإنتاج، والتبادلات التجارية، وآليات ضبطها من قبل الإدارة المالية، وتقديم قوائم بالمواقع الحرفية، وتقنيات الصنع، وطبيعة المواد الأولية ومصادرها، وكل المنتجات الحرفية : كالملابس، والأسلحة، والمجوهرات ،والمصنوعات الجلدية، والأحذية، والسجاد، والخزف، والأدوات المنزلية المصنوعة من الزجاج والخزف والخشب والحجر، ويحتوي الكتاب على أدوات وأنظمة وقوانين سياسية، وإدارية، ومالية تصب في خدمة بناء الدولة وتطورها . وجميع مادة الكتاب تدور في فلك الدولة الرسولية، إلا أن كثيراً من الأدوات، والسلع، والتجارات المذكورة تصل إلى مدن وحواضر وأسواق عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها . وكون نجران تقع في محيط جنوب جزيرة العرب وقرية من حواضر اليمن فإن لها صلات سياسية وتجارية مع غيرها، وفيها تجارات وسلع تصدر منها إلى أصقاع المعمورة . وأنواع القسب النجراني[٥]، أحد البضائع المشهورة التي اشار إليها كتاب (نور المعارف) فذكر : " من ذلك الأبيض، منه يسمى بياض، وهو يميل إلى التقصف، وهو من أنواعه الجيدة، وهو الذي يحمل إلى اليمن، والأسود فيه يسمى سواد، وهو نوعان، فنوع منه صغير الحب صغار النوى كثير اللب جيد الطعم لذيذ، وهو أجود النوعين، ونوع كبير الحب كبار النوى، قليل اللب، وطعمه غير لذيذ، ونوع يسمى القفيفات وهو نادر قليل ،وصفته أسود يشبه حبه حب البندق ونواه صغار، وطعمه ألذ طعم، وإذا فرك تقصف، وإذا أكل تعلك في الفم[٦]، ونوع يسمى الفيح من أحسنه وأطيبه، فإذا يبس كان رأس الحبة

---

(١) تاج الدين عبدالباقي، بهجة الزمن، ص ٦٠-٦١. حروب العياني وأبنائه وأحفاده مع أهل نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة موضوع جديد لم يدرس ويستحق أن يدرس في بحث أو رسالة علمية .

(٢) نجران كانت مطمعاً لبعض القوى السياسية اليمنية، وبخاصة التي ظهرت في صعدة وصنعاء وماحولها، لكن أهل نجران ممثلة في قبائل بنو الحارث بن كعب ثم يام كانوا بالمرصاد لتلك الأطماع، ومن ثم فالحرب كانت مستمرة بين تلك الأطراف. .

(٣) كتاب : نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، لمؤلف مجهول . تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء (صنعاء، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م) .

(٤) المصدر نفسه . انظر الجزئين في حوالي ألف صفحة .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) أي صار مثل اللبان (العلك) أثناء المضغ .

أبيض وأسفلها أخضر[١]، وهو كثير الشحم يتعلك في الفم عند الأكل، فهذه جملة أنواع القسب[٢]، وهو يرطب، فمن أحب أن يجعله قسباً يبسه، ومن أحب أن يرجز[٣]، ويأخذ منه دبساً فعل[٤]، وحفظه يكون في آخر شهر آب وأول أيلول، والحشف منه لا قيمة له [٥]، بل يخلط في الجيد لا الزغل"[٦]. ويشير إلى أنواع الزبيب، فيذكر : " النجراني، وهو الأسود الكبار من بلاد وادعة[٧]، يقطف ويحمل إلى الجرن (البيادر) . والأخضر يقطف من حظيرته ويعلق فيها، بحيث يشرب الماء الذي فيه، فإذا يبس نشر على الأنطاع، أو على الغرابر[٨] . والأبقع : أخضر وأحمر مخلوط يترك في حظيرته"[٩] . ونستخلص من هذه النصوص التي دونها صاحب هذا المصدر، عدة أمور نذكرها في النقاط الآتية:

أ- وفرة المزروعات في نجران وتميز بعض المنتوجات الزراعية مثل العنب والتمر ذات الطعم والشكل الفريد. وما من شك أن هناك محاصيل وثمار زراعية في عموم منطقة نجران وما جاورها، ومازلنا نشاهد الكثير منها معروضاً في أسواق عديدة بالمملكة العربية السعودية، وربما بعض الفواكه والحبوب والخضروات النجرانية تصدر إلى خارج البلاد[١٠]،

ب- معظم المادة المنشورة في كتاب (نور المعارف) تناقش موضوعات مالية، وقوانين إدارية واقتصادية في عصر الدولة الرسولية التي امتد نفوذها على بلاد تعز ومناطق نجران وتهامة، وأرض نجران بعيدة من قاعدة بني رسول (تعز)، ولم يكن لبني رسول نفوذ عليها، لكن محاصيلها وثمارها الزراعية تصدر إلى بلاد الرسوليين، وربما كان هناك بعض الصلات السياسية والإدارية بين النجرانيين ودولة بني رسول[١١].

---

(١) لم نعد نرى هذا النوع من التمر في نجران، بل إن بعض المصادر تذكر وجود شجر النخيل في نجران، واليوم أصبحت نادرة الوجود .

(٢) تجولت في عموم بلاد نجران وتهامة والسراة، ووجدت أشجار النخيل قليلة في أنحاء البلاد، ما عدا بيشة المشهورة بالتمر (الصفري) . وتمور بيشة كانت كثيرة إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ثم زاد القحط وكثرت الأمراض التي تصيب أشجار النخيل، ومن ثم أصاب الكثير منها الجفاف الذي أتلف الكثير من مزارع النخيل .

(٣) الرجز : هو جني التمر، ينشر في البيادر لعدة أيام، وينظف مما علق به من الأحجار والأشجار، ثم يخزن في أوعية من الخصف، وأحياناً يرش بالماء .

(٤) الدبس : هو عسل التمر . انظر كتاب : (أنوار المعارف)، ج١، ص ٢٤٨- ٢٤٩ .

(٥) الحشف الرديء من التمر، وغالباً لا طعم له، وأحياناً اليابس الفاسد، انظر، الزبيدي، تاج العروس (مادة حشف)، ج٦، ص ٧٠ .

(٦) الزغل : الرديء أو التالف .

(٧) ربما يقصد زور وادعة، وزور وادعة من قرى الموفجة في نجران . انظر: الحجري، بلدان اليمن، مج٢، ص ٧٣٤ . للمزيد انظر : كتاب (نور المعارف)، ج١، ص ٢٤٩ .

(٨) الأنطاع والغرابر: بُسط أو فرش مصنوعة من الجلد، أو القماش الغليظ .

(٩) كتاب (نور المعارف)، ج١، ص ٢٤٩ .

(١٠) تاريخ الزراعة في نجران منذ فجر الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة في بحوث عديدة .

(١١) من يستقرئ التاريخ الحربي والسياسي والإداري للنجرانيين منذ القرن (١٤هـ/ق١٠-٢٠م) يجدهم كانوا على

٨. يحيى بن الحسين بن القاسم، عبدالله بن علي الوزير، لطف الله بن أحمد حجاف (ق١١-١٣هـ / ق١٧-١٩م):

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، زيدي المذهب من علماء اليمن في القرن (١١هـ/١٧م). ولد عام (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)، وتوفي سنة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، يذكر أنه كان مؤرخاً مجتهداً، ومحققاً دقيقاً، وهو من سكان صنعاء، ويشير الشوكاني في كتابه (البدر الطالع) إلى أنه قرأ على عدد من العلماء والمشائخ في اليمن، وحصل على عدة إجازات من بعضهم . وله العديد من المؤلفات في التاريخ، والسيرة، وبعض العلوم الشرعية، ومن أهم كتبه (أنباء الزمن في تاريخ اليمن)، ومازال مخطوطاً، وقد استل منه بعض الصفحات ونشرت في بحوث أو كتيبات صغيرة [١]، وقام بعض الباحثين باختصاره . ومن هذه المختصرات عمل إسماعيل بن أحمد بن علي بن المتوكل، لكن مختصره جاء غير سليم ودقيق، لأنه لم يوفق فيما ينبغي إبقاؤه وما يجوز حذفه . ولهذا قام مؤلف الكتاب يحيى بن الحسين بن القاسم بوضع مختصر لكتابه أسماه عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن في أخبار اليمن، ثم رأى أن يختار لهذا الكتاب إسماً جديداً، فسماه : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، وهو الكتاب الذي استخدمناه في هذه الدراسة . وقام الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور بتحقيق هذا السفر، وراجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة [٢]، وهذا الكتاب اشتمل على تاريخ اليمن منذ فجر الإسلام حتى عام (١٤٠٥هـ/١٦٣٥م). ويحتوي على معلومات سياسية وحضارية عن القوى السياسية التي حكمت اليمن، وعن صلات اليمن ببعض العوالم الخارجية داخل الجزيرة العربية وخارجها . والدولة الزيدية نالت نصيباً كبيراً من مادة الكتاب[٣].

وورد في الكتاب معلومات لابأس بها عن بلاد نجران ففي عامي (٢٨٤، ٢٨٦هـ/٨٩٧، ٨٩٩م) جرت حروب دامية بين الإمام الهادي إلى الحق وأهل نجران، وكان النصر حليف الإمام على النجرانيين، لكن هذه الانتصارات لم تدم طويلاً لأن معظم سكان نجران تحت زعامة قبيلة بني كعب بن الحارث غير راضين بحكم الدولة الزيدية على بلادهم، ولهذا فهم في حرب مستمرة معها[٤]. وفي عام (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ثار بنو الحارث في نجران على

صلات سلبية وإيجابية ببعض القوى والحكومات في نجران وتهامة اليمن . أما علاقاتهم مع الدويلات الموجودة في مرتفعات اليمن فكانت مستمرة، وغالباً صراعات وحروب. حبذا أن نرى بعض طلابنا في برامج الدراسات العليا بأقسام التاريخ في جامعات نجران، والملك خالد، وبيشة فيدرسوا صلات نجران بما حولها من بلدان خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة .

(١) من ذلك الكتاب الذي ذكرناه في صفحات سابقة من هذا المحور ،والموسوم بـ: أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة (٢٨٠ إلى ٣٢٢هـ) . تصحيح وتقديم ودراسة محمد عبدالله ماضي، وهناك إشارات واختصارات أخرى لهذا الكتاب بعضها منشور، وأخرى مازالت مخطوطة .

(٢) الكتاب يقع في جزئين و (٩٦١) صفحة من القطع المتوسط، وطبع في دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

(٣) المصدر نفسه . وللمزيد انظر مقدمة الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور للكتاب .

(٤) انظر : يحيى بن الحسين بن القاسم . غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج١، ص ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥-١٧٦ .

بعض رجال وأعوان الإمام الهادي، فخرج عليهم الهادي من صعده، فحاصرهم واستباح أموالهم، ودمر مزارعهم وقطع نخيلهم، فطلبوا الأمان منه، فأمنهم وعاد إلى صعده[١]. وفي عهد الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي (٣٠١-٣٢٢هـ/٩١٣-٩٣٣م) الذي تولى الإمامة عام (٣٠١هـ/٩١٣م) سار إليه وجوه نجران وبنو الحارث إلى صعده، وبايعوه، واستعمل عليهم رجلاً يدعى عبدالرحمن الأقرعي[٢]. ومن خلال قراءة بعض المصادر التي تحدثت عن تاريخ صعدة ونجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة، نجد أن العداء كان مستمراً بين النجرانيين والزيديين، وكان الآخرون يغزون بلاد نجران من وقت لآخر بهدف السيطرة عليها ،وضمها تحت لوائهم، لكن النجرانيين كانوا غير راضين بذلك، فهم في حرب ودفاع عن بلادهم، إلا أنه يوجد فيهم بعض الشيوخ والأعيان والوجهاء الذين تُشترى ذممهم بالمال فهم على اتصال دائم مع الأئمة الزيدية ورجالهم، ولا يتورعون في كشف عورات بلادهم، ومساعدة أعدائهم في السيطرة على أوطانهم[٣].

وفي عام (٣٠٣هـ/٩١٥م) خرج الإمام الناصر إلى نجران، وأقام فيها لبعض الوقت، وتفقد أمورها وأحسن إلى أهلها[٤]. وفي عام (٣٢٢هـ/٩٣٣م) مات الإمام الناصر، وجرت صراعات وحروب أهلية عديدة بين أولاده وبخاصة ابنيه الحسن، وأبو القاسم الملقب بالمختار، وكان الأخير على صلات جيدة مع أهل نجران، وقد استعان ببعضهم على أخيه الحسن[٥]. وفي عامي (٣٨٩-٣٩٠هـ/٩٩٨، ٩٩٩م) كان إمام اليمن هو القاسم العياني (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م) الذي ترك مسقط رأسه في بلاد السراة، وجاء إلى صعدة، وتولى إمامة اليمن لمدة خمس سنوات[٦]. وفي عصره نكث أهل نجران العهود التي عقدوها مع من سبقه، وقتلوا بعض عمال الدولة الزيدية في بلادهم، فسار إليهم الإمام العياني عام (٣٩٠هـ-٩٩٩م)في ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فحاربهم، ودمر بعض حصونهم وقطع أعنابهم، وأخذ منهم ستين رجلاً إلى صعدة، وطلب من تجار نجران وغيرهم إعانة ودعماً مادياً لجنوده[٧].

ويشير صاحب (غاية الأماني) في عام (٥٢٤هـ/١١٢٩م) إلى الطريق التجارية التي تربط صنعاء وصعدة ونجران باليمامة، والأحساء والعراق، فيذكر أنها انقطعت بسبب

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٥. لم نجد ترجمة لعبد الرحمن الأقرعي. وفي اعتقادي أن الذين ذهبوا إلى الإمام لا يمثلون معظم أهل نجران الذين يدافعون عن بلادهم، ولا يرضون بأحد أن يستولي عليها .

(٣) من يدرس الخيانات السياسية والعسكرية في محيط بلاد العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الحاضر، فإنه سوف يقف على مادة علمية كبيرة تصب في ميدان الخيانة التي تدور حول أطماع سياسية، ومالية، وإدارية، وقضايا شخصية كثيرة وغيرها . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في مئات البحوث والكتب والرسائل العلمية .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج١، ص ٣٠٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ٢١٥-٢١٨ .

(٦) انظر ما ذكرناه عن الإمام العياني في صفحات سابقة من هذا المحور، وللمزيد عن سيرة هذا الإمام انظر: أحمد بن يعقوب، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، ص ٢٠ وما بعدها .

(٧) انظر : يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٢٢٧-٢٣١ .

ضعف الدولة العباسية، وسعي القرامطة إلى نشر الرعب والفساد في أرض البحرين ونجد، ولم يعد يسلك تلك الطريق إلا أهل نجد مع أخذ الحذر والحيطة أثناء عبورها[١] . وما من شك أن هذه الطريق حيوية ومهمة لأنها تربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية ووسطها وشرقها، وهي تمر في حزون وأودية وصحاري صعبة وشاقة، ويعيش قريباً منها عشائر وبطون عربية عديدة، وعندما ينفلت زمام الأمن وترتفع وتيرة الصراعات والحروب، فإن الحياة الاقتصادية والاجتماعية يصيبها الخمول وأحياناً الشلل والتوقف [٢] .

وفي عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) تولى إمامة اليمن الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان[٣]، ومد نفوذه إلى صعدة، ونجران، والجوف، ويقول عنه يحيى بن الحسين بن القاسم " سار إلى نجران، فاستبشر بقدومه الشيخ عون بن رعبة "[٤]. وبايعه أهل نجران "[٥]. وعُرف الإمام بحسن السيرة في جميع الأقطار اليمنية [٦]، ويذكر عنه أنه " خرج إلى الخانق أطراف محل في يام، فلقاه أهل تلك الجهات، فلما رأوه أرسلوا ما في أيديهم من النبل والحجارة، ثم رجع إلى نجران فاستقر فيها أياماً "[٧] .

وكان إمام اليمن عام (٥٩٣هـ/١١٩٦م) عبدالله بن حمزة الملقب بـ (المنصور بالله) [٨]، وجرى في عصره صدامات مع أهل نجران، ويذكر مؤلف كتاب(غابة الأماني) أحداثاً وقعت في سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)، فقال : " فيها وقع اختلال في جهة نجران، وفتن وحروب بين بني الحارث، ويام، وشاكر، قتل فيها من الأعيان علي بن المحسن [٩]، ورجلين من آل عباد[١٠]، فخرج عليهم عامل صعدة في ثمانين فارساً وسبعمائة راجل، فانهزموا في أول ذلك اليوم، وتفرق

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٢ .

(٢) الاستقرار السياسي من أهم الركائز لحياة آمنة مطمئنة، وما نلاحظه اليوم من عبث حربي وسياسي في اليمن، والشام، والعراق، وليبيا وغيرها من دول العالم العربي والإسلامي لهو أكبر دليل على نشر الفوضى والاضطراب في حياة الناس العامة والخاصة .

(٣) حكم هذا الإمام مرتفعات اليمن أكثر من ثلاثة عقود، للمزيد انظر سيرته وتفصيلات عنه في صفحات سابقة من هذه الدراسة .

(٤) لم نجد ترجمة لهذا الشيخ ،وأعتقد أنه شيخ عشيرة أو فخذ ،لأنه من يدرس تاريخ بلاد نجران والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة يجد أن المسيطرين عليها شيوخ القبائل والأعيان والوجهاء، وهم الذين يعقدون اتفاقات وتحالفات مع القوى الداخلية والخارجية . وهذه الظاهرة كانت موجودة وواضحة في أوطان نجران، فهناك أعلام وشيوخ ووجهاء يبحثون عن مصالحهم الذاتية، ومن ثم فهم لا يتورعون في الاتصال والاتفاق مع أي قوة في الداخل أو الخارج تساعدهم على تحقيق مآربهم وأهدافهم . وكانت الصلات بين أئمة صعدة ورموزها مستمرة مع شيوخ وأعيان ووجهاء في نجران، والدافع وراء ذلك أطماع سياسية وتحقيق مآرب شخصية .

(٥) انظر : يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج٢١، ص ٢٩٦ .

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٦ .

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٨) انظر تفصيلات عنه في سيرته : السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣ـ ٦١٤هـ/١١٩٦ـ ١٢١٧م) (بيروت : دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) (جزءان)، كما أشرنا في أول هذا البحث إلى شيء من سيرته .

(٩) لم نجد ترجمة لهذا الرجل، إلا أنه يُفهم من نصوص يحيى بن الحسين أنه من أعيان أهل نجران .

(١٠) آل عباد : بطن من بني لخم من قحطان، وكان منهم ملوك أشبيلية بالأندلس . انظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٢٥٦ .

أصحاب الأمير للانتهاب وقبض الأسلاب، فعطف عليهم أهل البلاد فقتل أميرهم في سبعين رجلاً من أصحابه . ولما بلغ خبرهم الإمام، اغتم لذلك، وهم النهوض إليهم بنفسه، فعاقه عوائق، فكتب إلى الجوف وصعدة، وإلى خولان يأمرهم بحرب تلك البلاد، فاجتمع ممن كتب إليهم أربعة آلاف نفر، ونهضوا إلى بلاد يام، فتعلق أهلها بالجبال، فاخرب المجاهدون دروباً كثيرة ثم ساروا إلى نجران، فأذعن أهلها بالطاعة، وسلموا معونة الإمام "[١] . ونستخلص من هذه النصوص بعض النتائج، وهي على النحو الآتي:

أ- أوضاع نجران السياسية والإدارية غير مستقرة فهي في حروب دائمة مع بعضهم البعض أو مع جيرانهم من العشائر أو القوى السياسية في صعدة وما حولها . وهم في حقيقة الأمر لا يدينون للأئمة الزيدية بالولاء، حتى وإن استقبلوا بعضهم، وضيفوهم، ورحبوا بهم كما فعلوا مع الإمام أحمد بن سليمان وغيره.

ب - الأئمة الزيدية في صعدة يرون أنفسهم المسؤولين عن أمن نجران وضبط أحوالها السياسية والإدارية، ومن ثم فهم لا يتأخرون عن السير إلى نجران إذا ظهر فيها بعض الثوار والمتمردين، ويعملون كل ما في وسعهم لمحاربة الثائرين وإخضاع البلاد لسلطتهم والموالين لهم من النجرانيين .

ج - لم تكن يام أو بنو كعب بن الحارث هم جميع سكان بلاد نجران، وإنما كان معهم عشائر وقبائل أخرى يستوطنون البلاد، كما أنه يحيط بأرض نجران من الغرب، والشمال، والشرق قبائل عربية أخرى، ومن المذكور أن لهم صلات سلبية وإيجابية مع سكان نجران الأصليين، لكننا لا نجد المصادر تفصل لنا الحديث في هذا الجانب [٢] .

وفي عصر الإمام عبدالله بن حمزة ضربت عملة تحمل اسمه، واستخدمت في صعدة ونجران وما حولها، وكان ضربها عام (٦٠١هـ/١٢٠٤م)، ويذكر يحيى بن الحسين أنه في هذه السنة " أمر الإمام بضرب الدراهم المنصورية، وزن كل درهم نصف قفلة، وبعضها ثمن قفلة[٣]، وكان التعامل قبل ذلك بالضربة العباسية فامتنع الناس عن التعامل بضربة الإمام، فأدبهم بالجيوش وغيرها، وكانت الضربة العباسية أرجح وزناً من ضربة الإمام"[٤] .

ويذكر صاحب (غاية الأماني) معلومات حضارية متفرقة في حواضر اليمن وغيرها من بلدان الجزيرة العربية . ففي عام (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) انتشر الجوع والقحط في البلاد، وارتفعت الأسعار، ومات كثير من الناس جوعاً، وأكلوا الكلاب، ونضبت المياه [٥]. وكانت

---

(١) للمزيد انظر يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٣٤٧ .

(٢) تاريخ نجران السياسي والاجتماعي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الميدان المهم .

(٣) ذكر الخزرجي أن الأوقية تساوي عشر قفال بالختم المصري، انظر : العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر كتاب (غاية الأماني)، ج١، ص ٣٨٨-٣٨٩ . وأقول إن التاريخ الاقتصادي في نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الباب في كتاب أو رسالة علمية .

(٥) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٤٤٣. وأقول إن القحط، والمرض، والجوع كانت من الآفات الفتاكة لعموم

أحياناً تنزل الأمطار على البلاد فيغاث الناس، وتتحسن أحوالهم الاقتصادية، وكتب التراث ذكرت بعض السنوات التي عم الخير والرخاء بعض بلدان اليمن ونجران والسراة . ومؤرخنا يحيى بن الحسين ذكر شيئاً من ذلك [١]، إلا أنه عاد ودون معلومات عن ارتفاع الأسعار، وانتشار الجوع والأمراض، كالطاعون، والجدري، والحمى وغيرها، خلال العصر الإسلامي الوسيط[٢] .

والمؤرخ عبدالله بن علي الوزير من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (١٠٧٤-١١٤٧هـ/١٦٦٣-١٧٥٣م)، ولد في صنعاء وعاش فيها، وهو من كبار علماء زمانه، درس على عدد من العلماء، وله مؤلفات عديدة في علوم الشريعة، واللغة، والتاريخ، ومنها : **(١) النغبة لخدمة شرح النخبة**، في مصطلح الحديث . **(٢) جامع المتون في أخبار اليمن الميمون**، لخصه من كتاب (أنباء الزمان) ليحيى بن الحسين . **(٣) جوارش الأفراح وقوت الأرواح**، ديوان شعر جمعه إسماعيل بن الحسن الحرة . **(٤) طبق الحلوى وصحايف المن والسلوى**. وهذا الكتاب الأخير الذي يهمنا في هذه الدراسة، وهو تاريخ حولي لبلاد اليمن لفترة زمنية مداها أربعة وأربعين عاما (١٠٤٦-١٠٩٠هـ/١٦٣٦-١٦٨٠م)[٣]. وهي التي أعقبت استقلال اليمن من السيطرة العثمانية الأولى، وهذه الفترة التي عالجها المؤلف لم تخدم عند مؤرخي اليمن، فالأتراك العثمانيون خرجوا من اليمن عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م)، ويأتي مؤرخا (عبدالله الوزير) فيدرس الأحداث في اليمن المستقل من عام (١٠٤٦ حتى عام ١٠٩٠هـ/ ١٦٣٦ - ١٦٨٠م)، مسجلا خلال هذه السنين الكثير من الأحداث السياسية والحضارية التي كان مسرحها اليمن وبلاد عربية وإسلامية مجاورة [٤] .

لم تكن بلاد نجران حاضرة بشكل كبير في هذا المصدر لكنه أشار إلى نفوذ أشراف مكة على الطائف وبلاد السراة حتى بيشة وما جاورها، ولم يشر إلى تبعية نجران للأشراف في مكة[٥]، وذكر في أكثر من مكان الطرق الجبلية التي تخرج من صنعاء وصعدة وحضرموت

سكان شبه الجزيرة العربية . ونجد في بعض وثائق العصر الحديث، ونسمع بعض الرواة الذين عاصروا العقود الأولى والوسط من القرن (١٤هـ/٢٠م) فيذكرون أخباراً مروعة عن الجوع والأمراض التي كانت تقتل الناس، وفي بعض السنين كانت هذه الآفات تقضي على أسر وقرى كاملة، وقد أخبرني بعض أجدادي الذين عاشوا في سروات بني شهر وبني عمرو منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم ولد في نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) قصصاً مفزعة عن الجوع والأمراض التي قضت على بعض آبائهم وأجدادهم وأهل قراهم .

(١) غاية الأماني، ج١، ص ٤٧٧ .

(٢) ذكرت بعض الروايات والأخبار التي وقعت في مدن اليمن، ونجران، والسراة في سنوات عديدة مثل : (٨٢٤هـ، ٨٤٠هـ، ٩٦٢هـ/١٤٢١م، ١٤٣٦م /١٤٥٧م) . وما تم الإشارة إليه يعد نماذج قليلة، فأوضاع أهل اليمن والسروات المعيشية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت قاسية وصعبة، ومازال كثير من الناس يعانون حتى اليوم وبخاصة البلاد التي يواجه سكانها بعض الكوارث مثل الحروب والمجاعات وغيرها من الأمراض والآفات .

(٣) وعنوان الكتاب هو : تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (١٠٤٥-١٠٩٠هـ/ ١٦٣٥-١٦٨٠م) . المسمى (تاريخ طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى) . تحقيق محمد عبدالرحيم جازم (بيروت : دار المسيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ويقع الكتاب في (٤٢١) صفحة مع مقدمات وفهارس، ونصوص الكتاب الرئيسية .

(٤) المصدر نفسه، انظر مقدمات الكتاب، ص ٩ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٢١١ .

إلى الحجاز واللصوص وقطاعي الطرق الذين يتعرضون للمسافرين والحجاج بالنهب والاعتداءات والقتل في نجران وأمكنة عديدة من بلاد السروات[١]. ويذكر في عامي (١٠٧٨، ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٧، ١٦٦٨م) انتشار الجوع والقحط والأمراض وارتفاع الأسعار في بلدان اليمن الأعلى، ونجران، وتهامة وما جاورها، وفي تلك السنوات مات خلق كثير من تلك الآفات[٢]. وفي الكتاب أيضا إشارات محدودة عن جهود أئمة اليمن ورغبتهم في مد نفوذهم إلى نجران، والنجرانيون يخلقون لهم المشاكل والتمرد والعصيان، ويرفضون أن يدفعوا لهم خراج البلاد، والأئمة يرسلون لهم من يحاربهم ويرغمهم على دفع زكاة الأموال[٣] .

ولطف الله بن أحمد جحاف اليمني الصنعاني من مواليد صنعاء عام (١١٨٩هـ/١٧٧٥م)، عاش فيها وتعلم لدى كثير من شيوخها، ومنهم شيخ الإسلام العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي قال عنه: " قرأ عليّ في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث، وبرع في هذه المعارف كلها، وصار من أعيان علماء العصر وهو في سن الشباب، ودرس في فنون، وصنف رسائل أفرد فيها مسائل، ونظم الشعر الحسن وغاليه في أعلى طبقات البلاغة، وباحث كثيراً من علماء العصر بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له ثم يعرضها على مشايخه أو بعضهم، ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة"[٤] . وقد أسهب الشوكاني في الثناء عليه، وأشاد بمقدرته على الحوار العلمي، وإمكانياته الشخصية، لكنه أيضا ذمه وذكر شيئاً من مثالبه عندما صار محظيا ومقربا في بلاط إمام الدولة الزيدية في صنعاء ووزرائه[٥]. قضى لطف الله حياته في صنعاء قريبا من العلماء ورجال الدولة، وله مؤلفات كثيرة في التاريخ، والحديث، والفقه، والتفسير، والأدب، كما نظم الشعر الجيد بشهادة أستاذه وشيخه الشوكاني وكانت وفاته في عام (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) [٦] .

أما كتاباته التاريخية فقد جمعها في كتابين كبيرين، الأول : التاريخ الجامع، وهو مستل من كتاب (أنباء الزمن في تاريخ اليمن) ليحيى بن الحسين بن قاسم، وقد أوصل لطف الله جحاف في هذا الكتاب تاريخ اليمن إلى عهد الإمام المهدي بن العباس . والكتاب الثاني بعنوان : دُرر الحور العين بسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين "[٧]، وهو

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٥ . ج٢، ص ٣١٥. كان الأمن مفقوداً في عموم شبه الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة، وكان الحجاج والمسافرون يتعرضون للاعتداءات في معظم الطرق البرية . ولم تستقر الأمور وينتشر الأمن في ربوع جزيرة العرب وبخاصة في الحجاز وما جاورها إلا بعد توحيد المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٤١-٢٤٢ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣١٩-٣٢٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٧ .

(٤) انظر شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . تحقيق حسين بن عبدالله العمري (بيروت : دار الفكر المعاصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٥٨٠ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٧٩-٥٨٩ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٧٩-٥٨٩ .

(٧) هذا الكتاب شمل الفترة الزمنية الممتدة من (١١٨٩-١٢٢٤هـ/ ١٧٧٥-١٨٠٩م)، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي (صنعاء : مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

الكتاب الذي يعنينا في هذا البحث، ويقع في مجلد تجاوزت صفحاته الثمانمائة وخمسين صفحة [١]، وهو سجل تاريخي لليمن لمدة خمسة وثلاثين عاماً (١١٨٩- ١٢٢٤هـ/١٧٧٥-١٨٠٩م)، وهي الفترة التي حكم خلالها الإمام المنصور علي بن المهدي العباسي[٢].

والمؤرخ لطف الله جحاف لم يشر إلى طبيعة نجران وأهله داخلياً، وإنما ذكر خروج قبائل يام واصطدامها عسكرياً بالقوى السياسية المجاورة. ففي عام (١٢٠٩هـ/١٧٩٤م) يسجل عنواناً جانبياً أسماه (ملحمة يام)، وذكر خروج يام من نجران إلى تهامة، فأرسل لهم إمام صنعاء جيشاً استطاع التصدي لهم، وهزيمتهم، وإجبارهم على الرجوع إلى أرضهم في نجران[٣]. ولم يدون تفصيلات تلك اللقاءات العسكرية، وما هي العدة والعتاد والتكتيكات الحربية التي قام بها كل فريق؟، وما هي الأسباب التي حملت اليامين على الخروج من بلادهم نحو تهامة؟ [٤]. وفي عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) خرجت يام إلى بيت الفقيه في تهامة فحرقوا أعشاشهم، وحصل بين الفريقين مقتلة كبيرة صار ضحيتها عشرات القتلى [٥]. وفي العام نفسه وصل اليامون إلى الدريهمي وزبيد وجرت حروب بينهم، وحل بالبلاد الكثير من الخراب والدمار[٦]. وفي عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م) ذهبت قبيلة يام إلى حيس وانتهبوها وأقاموا فيها نحو ثلاثة أشهر ثم عادوا إلى بلادهم [٧]. وفي سنة (١٢١٥هـ/١٨٠٠م)، كما سجل المؤلف خروج اليامين من بلادهم إلى بلدان عديدة في تهامة اليمن حتى وصلوا مدينة زبيد، ويذكر ما قاموا به من أعمال سلبية تجاه أهل البلاد[٨]، ولا ندري مدى صحة هذا الرصد التاريخي الذي يعكس صور الخراب والهلاك والدمار لكل شيء مروا عليه في طريقهم حتى استقروا في ناحية زبيد وما حولها. ويذكر لطف الله أمثلة أخرى عديدة عن صراعات قبيلة يام مع الدولة الزيدية في نجران وتهامة والسراة، وما حدث في تلك الحروب من خسائر مادية وبشرية[٩].

---

(١) المصدر نفسه، وهذه الصفحات تشمل مقدمات وتعليقات المحقق وكذلك فهارس الكتاب.

(٢) انظر لطف الله جحاف، درر الحور العين، ص ٥ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

(٤) من يستقرئ حروب قبائل يام مع سكان تهامة اليمن وجازان خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة فإنه سوف يجد تفصيلات كثيرة تدور حول هذا الجانب. ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الماجستير أو الدكتوراه.

(٥) لطف الله جحاف، درر نحور الحور العين، ص ٤٠٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٦٠.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٨٣. قبيلة يام من القبائل العربية الكثيرة والقوية ولها تاريخ حربي طويل منذ عصور ما قبل الإسلام وعلى مر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث. وتستحق أن يفرد لها كتاب أو رسالة طويلة يفصل فيها تاريخ هذه القبيلة السياسي والحربي عبر أطوار التاريخ.

(٩) لطف الله جحاف، ص ٤٩٢، ٦١٨، ٧٠٣، ٧٠٦، ٧٣٠، ٧٥١.

٩. القاضي حسين العرشي، والقاضي محمد بن أحمد الحجري، والقاضي عبدالله الجرافي (ق١٣-١٤هـ / ق١٩-٢٠م) .

القاضي حسين بن أحمد العرشي من أهل القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) له كتاب بعنوان : **بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى مُلك اليمن من ملك وإمام**، قام بمراجعة هذا الكتاب الأب أنستاس ماري الكرملي، عضو مجمع اللغة العربية[١] . والكتاب يقع في حوالي (٤٤٢) صفحة، الإثنان والثمانون صفحة الأولى من تأليف القاضي العرشي، وباقي صفحات الكتاب جمعها الكرملي من مصادر ومراجع عديدة[٢]، ورتبها في أربعة ملاحق بالإضافة إلى فهارس الكتاب العامة. ويقول الأستاذ الكرملي في بداية الملحق الأول بالكتاب[٣]، " لما كان هذا الكتاب يقف إلى سنة (١٣١٨هـ) [٤]، كان لابد لمطالعه أن يعرف ما وقع في تلك البلاد الميمونة من الأحداث بعد ذلك العام، ووجدنا فيما كتبه الواسعي في تاريخه (فرجة الهموم) ما يتمم هذا الموضوع فاعتمدنا عليه[٥]، ملخصين ما ورد فيه، وما جاء في صحف العراق، ومصر، وديار الفرنج، ومما شاهدنا بنفسنا في أثناء سفرنا إلى عدن في سنة (١٨٩٤م)، وعام (١٩٢١م) "[٦].

ويذكر العرشي أن نجران كانت مطمعاً لمن يحكم اليمن، وأشار إلى إن الدولة الزيادية (٢٠٥-٤٠٢هـ/٨٢١-١٠١٢م) في زبيد مدت نفوذها إلى مناطق عديدة في تهامة والسراة بما في ذلك بلاد نجران[٧] . وفي اعتقادي أن الدولة الزيادية كانت دولة قوية سيطرت على بلدان عديدة في تهامة اليمن، لكن نفوذها في منطقة نجران والسروات الممتدة من نجران وظهران جنوبا إلى الطائف كانت شكلية، لأن هذه البلاد وعرة المسالك وفي عزلة عن غيرها، وقبائلها وشيوخها هم أصحاب النفوذ الفعلي في بلادهم[٨] . ويشير العرشي أيضا إلى ما ذكرت مصادر سابقة بشأن بعض أئمة اليمن الذين كانوا يرسلون الجيوش إلى نجران بين الفينة والأخرى من أجل إخضاعها لنفوذهم، والاستفادة من ثروات بلادهم، إلا أن النجرانيين لم يقبلوا ذلك، وكانوا في صراع دائم مع الزيديين[٩] .

---

(١) طبع الكتاب في القاهرة بمكتبة الثقافة الدينية (تاريخ النشر بدون) .

(٢) المصدر نفسه، (٤٤٢ صفحة) .

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣ .

(٤) يذكر العرشي في مقدمة كتابه أنه سوف يكتب باختصار تاريخ من ملك اليمن من أوائل الدولة الأموية حتى عام (١٣١٨هـ). انظر العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٤ .

(٥) عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليماني من مؤرخي اليمن في العصر الحديث، وهو مؤرخ موسوعي، وله مؤلفات من أهمها: (١) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، طبع في المطبعة السلفية في القاهرة، سنة (١٣٤٦هـ) .(٢) البدر المزيل للحزن في فضائل اليمن، ومحاسن صنعاء ذات المنن، طبع في مطبعة التضامن الأخوي بالقاهرة عام (١٣٤٥هـ) .

(٦) انظر : العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٨٣ .

(٧) المصدر نفسه، ص ١٣ .

(٨) هذا ما أكدته بعض المصادر خلال القرون الإسلامية الوسيطة، وأشارت إليه وثائق العصر الحديث من القرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م) .

(٩) للمزيد انظر القاضي حسين العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٣٤، ٣٥، ٥٩ .

ويدون الأب أنستاس الكرملي في الملحق الثاني من كتاب العرشي نقلاً عن الواسعي معلومات حضارية عن صعده ونجران، وما يوجد فيها من الثمار، والزروع، والنخيل[١]، وسميت نجران بهذا الاسم نسبة إلى زيد بن يشجب بن يعرب[٢] . ويذكر في الملحق الرابع بعض الاتفاقيات والمعاهدات التي جرت بين الدولة الزيدية وبعض الدول العربية والأجنبية[٣]، ومنها معاهدة الطائف بين المملكة اليمانية والمملكة العربية السعودية عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، التي على إثرها أصبحت منطقة نجران جزء من دولة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل[٤] .

والقاضي محمد بن أحمد بن علي الحجري، ولد في شهر ذي الحجة سنة (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م) في قرية ذي شرع بجوار هجرة الذاري من ناحية خبان وأعمال يريم، تلقى تعليمه على يد مجموعة من شيوخ عصره، وتنقل بين مدن يمنية عديدة، كان عالما واسع المعرفة، وعمل في أعمال عديدة في عهدي الإمامين يحيى بن حميد الدين وابنه أحمد (١٣٢٢-١٣٨٢هـ/ ١٩٠٤-١٩٦٢م) وكانت وفاته في عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) . ومن مؤلفاته : (١) فهرست مكتبة الأوقاف بجامع صنعاء . (٢) فهرسة خزانة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وماتزال مخطوطة . (٣) مساجد صنعاء . (٤) خلاصة من تاريخ اليمن قديماً وحديثاً، ألفه سنة (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م)، وطبع في مطبعة وورشة تجليد الأنوار في مصر .(٥) كتاب: **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، وهذا الكتاب يقع في أربعة أجزاء، في مجلدين، تحقيق ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، طبعته الأولى . في صنعاء بمكتبة الإرشاد عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وهذا الكتاب الذي يعنينا في هذه الدراسة[٥] .

ويسجل الحجري في أكثر من عشر صفحات تفصيلات عن قبيلة يام، وقبيلة بنو الحارث بن كعب، ونجران[٦] . فيقول: " نجران بلد مشهور في الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة ثمان مراحل، وأكثر قبائل نجران من يام، وبني الحارث بن كعب "[٧]. ومن قبائل نجران مواجد، وجشم، ومذكر، وعدد بعض الأمكنة والقرى التي تقطنها هذه القبائل[٨]، ونقل نصوصاً كثيرة مدونة في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، وفي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١ - ٢٣٩ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ وما بعدها . هناك حروب جرت على أرض نجران قبل عقد هذه المعاهدة، ومازال هناك وثائق عديدة غير منشورة تصب في خدمة هذا الجانب، فآمل أن نرى باحثا جادا يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة .

(٥) رجعنا للطبعة الثالثة عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) وصفحات الأجزاء الأربعة تجاوزت الثمانمائة صفحة .

(٦) محمد بن أحمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن وقبائلها (صنعاء : مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، مج١، ج١، ص ٢٠٨-٢١٣ .

(٧) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٧٣٤ .

(٨) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٧٣٤-٧٣٨ .

كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي[١] . كما دون بعض الروايات المدونة في مصادر تاريخية مبكرة عن فتح نجران، وما جرى مع أهلها من الوثنيين والنصارى في عهد الرسول (ﷺ) [٢] . وأشار أيضاً إلى بعض الشعر الذي قيل في نجران وأهلها خلال القرون الإسلامية الأولى [٣] .

ويام من قبائل همدان ثم من حاشد، استوطنوا نجران منذ قديم الزمان وكانوا من قبل في جبل يام ما بين بلاد نهم والجوف، وهو جبل عظيم، ويذكر أنها بلادهم القديمة[٤]. ومن فضلاء يام طلحة بن مصّرف اليامي الهمداني، من أفاضل التابعين، ترجم له أبو نعيم في كتاب (حلية الأولياء)، ومنهم زبيد بن الحارث اليامي، ترجم له ابن الجوزي في كتاب (صفة الصفوة)، أدرك من الصحابة (رضوان الله عليهم) عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وروى عنهما، ومات سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م)[٥] .

ويذكر الحجري قبيلة بني الحارث بن كعب في عدة صفحات، وهم بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك، وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان[٦]. وهذه القبيلة المذحجية منتشرة في مواطن كثيرة في اليمن وفي نجران، وبنو عبدالمدان من أشرافهم، ولهم تاريخ طويل قبل الإسلام وبعده، وكتب السير تذكر شيئاً من تاريخهم في عهد الرسول ﷺ [٧]، كما أن كتب الأدب واللغة والتراث فصلت الحديث عن حروبهم، وأشعارهم، وكرمهم، وبطولاتهم [٨].

والقاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي ينتمي إلى بيت علم وفكر، ولد عام (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، ودرس على عدد من مشائخ عصره، يقول عنه إسماعيل الأكوع "إنه عالم مؤرخ محقق في النحو وله معرفة عامة بالحديث والتفسير[٩]، اشتغل في مجال القراءة والتدريس والتأليف، وأشرف على طباعة ومراجعة كتب عديدة في عهد الإمام

---

(١) المصدر نفسه، مج ٢، ج٤، ص ٧٣٥ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه، مج ٢، ج٤، ص ٧٣٧. وللمزيد عن تاريخ نجران في صدر الإسلام، انظر: غيثان بن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ/ق٧-١٠م)، ج١، ص ٥١- ١٢٤ .

(٣) محمد الحجري، مج٢، ج ٤، ص ٧٣٦ وما بعدها . وهناك شعراء كثيرون من نجران وغيرها قرضوا أشعاراً كثيرة تتعلق ببلاد نجران قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(٤) محمد الحجري، بلدان اليمن وقبائلها مج٢، ج٤، ص ٧٧٤ .

(٥) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٧٧٥. وهناك أعلام كثيرون من قبيلة يام كان لهم أدوار تاريخية وحضارية عبر أطوار التاريخ الإسلامي، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع تراجمهم ويدرسها .

(٦) محمد الحجري، مج١، ج١، ص ٢٠٨ .

(٧) المصدر نفسه، مج١، ج١، ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٨) للمزيد عن قبيلة بني الحارث بن كعب، انظر : غيثان بن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م)، ج١، ص ٣٤ وما بعدها . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذ من هذه القبيلة عنوان لرسالة الماجستير أو الدكتوراه .

(٩) انظر عبد الله الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٢٦ .

أحمد بن يحيى حميد الدين (١٣٦٧-١٣٨٢هـ/١٩٤٨ - ١٩٦٢م) [١]. ألف عدداً من الكتب منها كتاب (المقتطف)، وهو خلاصة مختصرة لكل ما كتبه في علم التاريخ، ويقول في مقدمته " اقتطفت من كل الأقسام فوائد قيمة في تاريخ اليمن، ورتبتها في مؤلف صغير سميته (المقتطف في تاريخ اليمن) [٢]. والكتاب ملخص لتاريخ اليمن السياسي وشيء من الحضارة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى الثمانينيات من القرن الهجري الماضي، وقد أحسن المؤلف في ترتيب وتبويب محتويات الكتاب[٣]. وإذا كانت معظم مادة هذا السفر عن أرض اليمن وسكانها وحكامها، إلا أنه أشار في مواضع عديدة إلى نسب قبيلة يام ومواطنها[٤]. وذكر جدهم الأعلى مذحج والقبائل التي تفرعت منه[٥].

ولم يختلف المؤرخ الجرافي عن المؤرخين اليمنيين الذين قبله، فقد سجل بعض الأحداث التاريخية بين الزيديين والنجرانيين، وكيف كانت الحروب مستمرة بينهم . فالأئمة الزيدية يطمعون في السيطرة على نجران، والنجرانيون متمردون مدافعون عن بلادهم، وإن كان في أرض نجران من يرغب في حكم الزيديين، إلا أنهم قلة قليلة، ومعظم السكان يودون الاستقلال وعدم الارتباط بغيرهم [٦]. وذكر أيضاً حرب نجران التي وقعت بين الإمام يحيى حميد الدين والملك عبدالعزيز وانتهت بعقد اتفاقية بين الطرفين[٧].

١٠. هاري سانت جون فلبي (ق١٤هـ/٢٠م): [٨]

هاري فلبي إنجليزي الجنسية، ولد في سيلان في بداية القرن الرابع عشر الهجري، واصل دراسته الجامعية في بلدة (بريطانيا)، والتحق بالخدمة المدنية في العقد الثالث من القرن (١٤هـ/٢٠م)، كما سافر إلى الهند والعراق . وفي عام (١٣٣٦هـ /١٩١٧م) ذهب إلى الرياض والتقى بالإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وتنقل في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية، ثم سافر إلى القاهرة والقدس وأخيراً عاد إلى جزيرة العرب، وأصبح قريباً من الملك عبدالعزيز آل سعود، واستمر في العيش بالمملكة العربية السعودية حتى مات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ثم غادر إلى لبنان ومات فيها عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) .

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧ .

(٢) يقع الكتاب في (٤١٥) صفحة من القطع المتوسط .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٤، ٥٨ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٩ .

(٦) انظر الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ص ١٠٩، ١٦٧، ١٧١-١٧٨، ٢١٣، ٢١٥، ٣١٢. تاريخ الصراع بين الزيديين والنجرانيين منذ القرن (١٢.٣هـ/١٨.٩م) موضوع لم يدرس ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة .

(٧) الجرافي، المقتطف، ص ٣١٤ وما بعدها . وموضوع تلك الحرب جدير أن يدرس في كتاب أو بحث علمي .

(٨) انظر روبن بدول . الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية (النسخة المعربة)، ص ٩٠.١٠٢. انظر أيضاً: محمد بن أحمد معبَّر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق١٥.٢هـ/ق٢١.٨م) . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الأول)، ص ٦٧، ١٢٢، ١٧٩، ٣٠٨، ٢٨٧، ٤٢٤، ٤٤٦، ٤٧١-٥٠٧، ٥٢١ وما بعدها .

مـن يدرس حياة فلبي العلمية يجده ألف عشرات الكتب والمقالات العلمية، ومعظم دراساته عن الجزيرة العربية، وهذا المستشرق أفضل من كتب عن شبه جزيرة العرب خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ومعظم بحوثه ومؤلفاته قامت على الرحلات والمشاهدات، ولهذا نجد فيها تفصيلات وأخبار يصعب أن نعثر عليها في مصدر أو مرجع آخر[١] . وبعض مؤلفاته أشارت إلى بلاد نجران وتفاوتت فيما احتوت عليه من تفصيلات، فبعضها ذكرت شيئاً يسيراً من تاريخ أجزاء من منطقة نجران، وأخرى أسهبت الحديث في عشرات أو مئات الصفحات . ومن تلك الكتب :

(١) بنات سبأ (رحلة في جنوب الجزيرة العربية)[٢] . وهذا الكتاب يقع في (٦٦٦) صفحة من القطع المتوسطة، وهو جزء من رحلة فلبي التي قضاها في بلاد نجران وتهامة والسراة عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) واستغرق فيها حوالي تسعة شهور منها حوالي ثلاثة شهور ذهب إلى شبوة ومأرب في اليمن وأصدر هذا السفر الآنف ذكره، والمدة الباقية قضاها في أجزاء عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية، ابتداءً من الطائف إلى عسير ونجران ثم جازان وبلاد الساحل حتى مكة المكرمة[٣] . ويذكر في كتاب : بنات سبأ بعض المعلومات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية أثناء خروجه من نجران إلى شبوة وحضرموت وعند عودته إلى نجران بعد انتهاء رحلته في أجزاء من بلاد اليمن [٤] .

(٢) كتاب: الربع الخالي (وصف للصحراء الجنوبية الكبرى للجزيرة العربية المعروفة بالربع الخالي) [٥]، وهذا السفر يقع في (٦٦٨) صفحة من القطع المتوسط، وفيه تفصيلات عن تركيبة الربع الخالي الجغرافية، وكون صحراء الربع الخالي تتماس مع أجزاء من منطقة نجران فقد ذكر بعض الأمكنة والبلدان المتجاورة أو المتداخلة مع الأوطان النجرانية، ولا يخلو الكتاب من بعض الإشارات السياسية والتاريخية الحديثة عن بلاد نجران[٦] .

(٣) العربية السعودية (من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء) [٧] . يتكون هذا الكتاب من (٦٨٠) صفحة، ودون فيه فلبي أحداث سياسية وحضارية عن دول آل سعود، منذ الدولة السعودية الأولى إلى عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل . ولا يخلو هذا المؤلف من معلومات عن نجران وعلاقاتها العسكرية والسياسية بالدول

---

(١) يوجد العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة التي درست حياة وإنجازات هاري سانت جون فلبي، وبعضها أصبح منشوراً على الشبكة العنكبوتية .

(٢) انظر الكتاب المعرب، ترجمة يوسف مختار الأمين (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

(٣) هذه المدة التي قضاها في أجزاء من نجران وتهامة والسراة أصدر عنها كتاب في مجلدين، هما: مرتفعات الجزيرة العربية، ترجمة حسن مصطفى حسن، وتقديم ومراجعة وتعليق أ. د . غيثان بن علي بن جريس (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (جزءان (في ألف واربعمائة وتسع وأربعون صفحة) .

(٤) للمزيد انظر : كتابه (بنات سبأ)، ص ٣٩. ٤٠، ٤٤، ٤٩٩، ٥٠٦ .

(٥) انظر : الكتاب المترجم، ترجمة حسن عبد العزيز أحمد (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

(٦) للمزيد انظر الكتاب نفسه، ج ٤٢٤. ٤٢٥ .

(٧) انظر النسخة المعربة، ترجمة عاطف فالح يوسف (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) . .

السعودية الثلاث، في الأعوام التالية: (١١٨٩هـ/١٧٧٥م)[١]. (١٢١١هـ/١٧٦٩م) و (١٢٢٠-١٢٢١هـ/١٨٠٥-١٨٠٦م)، و (١٣٥٠-١٣٥١هـ/ ٣١-١٩٣٢م)[٢].

(٤) كتاب: الذكرى العربية للمملكة العربية السعودية (بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس المملكة)[٣]. ويقع الكتاب في (٤٥٤) صفحة. وموضوعات هذا الكتاب متنوعة عن بعض الصور التاريخية والسياسية والحضارية عن تاريخ المملكة العربية السعودية خلال العقود الخمسة الأولى من نشأتها[٤]. وهناك بعض المعلومات عن الحروب التي جرت بين السعوديين والدولة الزيدية على أرض نجران وما جاورها عام (١٣٥٠-١٣٥١هـ/ ١٩٣١-١٩٣٢م)، وقد انتهت باتفاقية الطائف عام (١٣٥٤-١٣٥٥هـ/٣٥-١٩٣٦م)[٥].

(٥) كتاب: فلبي الجزيرة العربية (سجل الرحلات والاستكشافات)[٦]. ويقع الكتاب في مجلدين، في حوالي ألف صفحة من القطع المتوسط. وفي محور في الجزء الثاني سماه (الإقليم الجنوبي)، في ست عشرة صفحة يشير إلى جوانب حضارية في البلاد الممتدة من وادي الدواسر إلى نجران، ويذكر شيئاً من التركيبة الجغرافية والسكانية في بلاد نجران وبخاصة وادي نجران وحبونا وما بينهما[٧]. ويقول عن نجران: "أنها تحتل موقعاً تجاريا مميزا من جزيرة العرب، وتعد ميناء الصحراء، ويقصدها تجار جنوب نجد ليبتاعوا بن اليمن والبضائع الثمينة باستبدالها بالأقمشة الهندية والضرورات الأخرى الموجودة في المدن الداخلية"[٨].

(٦) كتاب: مرتفعات الجزيرة العربية[٩]. ويقع في مجلدين، هو أهم كتاب من كتب فلبي يهمنا في هذا القسم، لأن جميع مادته عن تاريخ وحضارة أجزاء كثيرة من بلاد تهامة والسراة، وبلاد نجران حظيت بحوالي أربعمائة صفحة من الجزئين تم نشرهما في البابين الثالث والرابع من الكتاب. وفي الصفحات التالية نوجز الحديث عن الفصول المدونة في هذا المؤلف، وهي على النحو الآتي:

أ- الفصل الحادي عشر[١٠]**: عتبة نجران:** وفي عشر صفحات وصف معالم جغرافية

---

(١) انظر الكتاب نفسه (العربية السعودية ...)، ص ١١٨-١٢٠، ١٣٢-١٣٣.

(٢) انظر الكتاب نفسه، ص ١٦٧، ٢٠٠-٢٠١، ٣٨٥-٣٨٦، ٥٦٣-٥٦٨.

(٣) انظر الكتاب المترجم، ترجمة عباس سيد أحمد (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥ وما بعدها.

(٥) للمزيد انظر: فلبي، الذكرى العربية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٨٤-٢٨٩.

(٦) انظر: الكتاب المعرب، ترجمة الدكتور / صلاح علي محجوب (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

(٧) المصدر نفسه، ص (٣٠١-٣١٦).

(٨) المصدر نفسه، ص ٣١٣. وللمزيد عن تاريخ نجران. انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م)، ج١ ص ٢١ وما بعدها، وانظر أيضاً موضوعات في أجزاء عديدة من سلسلة كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب).

(٩) للمزيد عن هذا الكتاب ومعلومات نشره انظر حاشية سابقة في هذا القسم.

(١٠) يقصد بـ (الفصل الحادي عشر) هنا، أي كما ورد في فهرست الكتاب العام المنشور من مكتبة العبيكان عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص ٦١٣. وهذا الفصل نشر مع خمسة فصول أخرى في باب مستقل تحت عنوان: الباب الثالث (بلاد يام)، وهذا الباب نتيجة لرحلة فلبي في أجزاء من نجران في (٢٥ يونيو إلى ٢٤/يوليو، و ١٢/أكتوبر إلى ٣/نوفمبر /عام ١٩٣٦م)، انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٣٩٧-٦١٢.

عديدة من هضـاب، وحزون، ومنعطفات في بعض الأودية وجداول مياه، والجيد في وصف هذا الرحالة الدقة والوضوح فيما سجله وذكره، ولا تخلو هذه الصفحات من بعض الصور الاجتماعية والاقتصـادية للناس الذين شـاهدهم في البلاد التي مر عليها وهو في طريقه إلى بلدة نجران[١] .

ب- الفصـل الثاني عشـر[٢]. كعبة نجران [٣] : ذكر في تسع صفحات لمحات يسيرة عن وادي حبونا، وركز شـرحه على جبل تصـلال، الذي يعرف أيضـا باسـم (جبل كعبة نجـران)، ويدعي فلبي أنه اكتشـف موقع كعبة نجران، وأورد شـروحات عن هذا الموقع، والآثار التي يقول أنها مازالت ماثلة للعيان، وأشـار أيضـا إلى وجود بعض المقابر المتناثرة في جبل تصلال [٤].

ج- الفصـل رقـم (١٣) : أولى الخطى في نجـران[٥] : ناقش هذا الرحالة العديد من النقاط، فذكر بعض الأسر والفخود القبلية التي رآها في طريقه وهو سائر إلى وسط مدينة نجران[٦] . ووقف أيضا على بعض المقابر المتناثرة في أطراف البلدة [٧]، ولفت نظره تعدد القصـور والمنازل بين المزارع وفي بعض نواحي المدينة، وكانت طوابق تلك القصـور تتراوح من طابقين إلى أربعة وخمسـة طوابق، والقصـور والبيوت في القرية الواحدة متلاصـقة، والأزقة بينها صغيرة وضيقة[٨]. ويشير إلى هيئة البناء الحكومي، قصر الإمارة في نجران، والمعروف بـ (قصر أبا السعود) [٩]. ولا تخلو شروحات فلبي من ذكر أسماء بعض الطيور والنباتات والمحاصـيل الزراعية في بلدة نجران، كما أشـار إلى بعض المؤسسـات الإدارية الموجودة أثناء زيارته، وذكر بعض أسـماء المسـؤولين في تلك الإدارات، وكان على رأسـهم أمير نجران، إبراهيم النشـمي، الذي دون شـيئا من سـيرته الذاتية [١٠] . ولم يغفل ذكر بعض الأفراد والبيوتات اليهودية في نجران، وقد التقى ببعضـهم وتحدث معهم في قضايا

---

(١) للمزيد انظر : فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٣٩٩-٤٠٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤١١ .

(٣) كعبة نجران : بناء ديني مسـيحي شـيده عبدالمدان بن الديان الحارثي الذي ينتسـب إلى بني الحارث بن كعب من قبائل مذحج، وقد تم الاعتناء بهذه الكعبة حتى صارت مشهورة في عموم الجزيرة العربية وخارجها، انظر : غيثان بن جريس، نجران، ج١، ص ٥٢ وما بعدها . وللمزيد عن كعبة نجران، انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٨. وآثار بلاد نجران جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل من المؤرخين والباحثين أن يدرسوا هذا الميدان المهم .

(٤) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤١٢ وما بعده .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١ . وهذا الفصل يقع في عشرين صفحة من صفحات الكتاب، ج١، ص ٤٢١-٤٤١ .

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١-٤٢٢ .

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٥ - ٤٢٧ .

(٩) قصر أبو السعود : بناء يتكون من طابقين ونصف بالإضافة إلى مرافق وغرف عديدة ملحقة به، ويقع وسط مدينة نجران، ويعد اليوم من المعالم السياحية الأثرية في منطقة نجران . المصدر : مشاهدات الباحث وزيارته لهذا القصر عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) . للمزيد انظر : فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج٧، ص ٤٢٨.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠ .

عديدة [١]. وذكر عدداً من الآبار التي وقف عليها، ووصف بعضها[٢].

د. الفصل الرابع عشر: الأخدود [٣]: سار فلبي إلى منطقة الأخدود، وأشار إلى صور من تركيبتها الجغرافية، وذكر بعض المزارع القريبة منها [٤]. ووقف على أرض السوق القريبة من قصر أبي السعود، وقد ذكر في صفحات سابقة سوق الإثنين الأسبوعي[٥]. وأورد بعض التفصيلات عن شيوخ قبائل يام الرئيسين وهم: ابن منيف، وابن نصيب، وأبو ساق، وذكر شيئاً عن أصولهم وأنسابهم وقد جالسهم، وسمع منهم، وتناقش معهم في أمور اجتماعية وتاريخية عديدة [٦]. وذكر فلبي بعض الصور التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي شاهدها في محيط الأخدود وأجزاء من وادي نجران. وفي حوالي عشرين صفحة أخرى يتحدث عن تاريخ نجران السياسي والديني وبخاصة في عصور ما قبل الإسلام، ويبدو على شرحه السطحية وعدم توثيق أقواله بمصادر علمية موثوقة[٧]. ويشير إلى بعض النقوش والآثار والمخربشات التي شاهدها في أرض الأخدود، وأشار إلى بعض المستشرقين الذين وصلوا نجران وذكروا شيئاً من تاريخها وآثارها[٨].

هـ. الفصل الخامس عشر: عنوانه: **الحياة في نجران**، وعدد صفحاته (٣٩)، ذكر فيها تفصيلات لبعض قرى نجران القريبة من الأخدود، وأشار إلى بعض التضاريس حول هذه الناحية من جبال، وأودية، ومعالم جغرافية أخرى، كما ذكر بعض الأعيان والأسر التي قابلها، وتناول بعض الوجبات في منازلها، ويذكر الجاليات اليهودية الموجودة في

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٤، وكانت بعض الأسر اليهودية تسكن في نجران وما حولها من البلاد خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم هاجر بعضهم إلى اليمن أو فلسطين وبلاد الشام، وعدد من أولئك الأفراد وتلك الأسر اعتنقت الإسلام وعاشوا مع مجتمعات نجران وأهل السروات.

(٢) شاهدت العديد من الآبار القديمة في حاضرة نجران، ويعود تاريخ بعضها إلى مئات السنين، ومنها الذي اندثر، وأخرى مازالت تستخدم في الزراعة وسقيا المواشي. المصدر: مشاهدات الباحث وتجواله في بلاد نجران عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٣) للمزيد انظر، فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٥٩. وهذا الفصل يتكون من (٦٨) صفحة من صفحات الكتاب، ج١، ص ٤٥٩-٥٢٧.

(٤) فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٥٩-٤٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٦، ٤٦٠. كان يوجد في نجران أثناء زيارة فلبي لها العديد من الأسواق الأسبوعية، مثل: سوق الأحد في دحضة بحماية الشيخ ابن منيف. (٢) سوق الإثنين في بني سليمان تحت إشراف ابن منيف. (٣) سوق الثلاثاء في بدر، والجمعة في صاغر تحت حماية الشيخ أبو ساق. (٤) سوق الأربعاء في قرية العان، وسوق الخميس في القابل تحت حماية ابن منيف. شاهد الباحث أمكنة بعض هذه الأسواق الأسبوعية في عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٦) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٦٢-٤٧٦. هؤلاء الشيوخ الآنف ذكرهم في المتن ذات جذور تاريخية قديمة وكل أسرة من أسر هؤلاء الأعلام تستحق أن تدرس في كتاب أو بحوث علمية موثوقة.

(٧) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٩٠-٥١٠.

(٨) كانت إشارات فلبي موجزة وأحياناً وصفية دون إجراء بعض التحليلات والدراسات لبعض النقوش والآثار التي شاهدها، ونأمل أن يأتي في قادم الأيام من يدرس آثار نجران دراسة علمية، وقد جاء إلى الأخدود في عصرنا الحديث والمعاصر العديد من الفرق الآثارية، وأجرت بعض التنقيبات، ومازالت تلك الآثار تحتاج إلى دعم وجهود كبيرة. انظر: فلبي، مرتفعات، ج١، ص ٥١١-٥٢٧.

نجران، وأصولها الأولى في اليمن والعراق، وقد زار بعضها، وذكر شيئاً من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، ومعظم مهنهم صناعة الحديد والحلي، ومنهم من يعمل في مهن أخرى كالزراعة وغيرها، وكان عددهم الإجمالي في نجران حوالي (٨٠) شخصاً صغاراً وكباراً[١] .

ويواصل فلبي حديثه عن بعض الأعراف والعادات التي شاهدها عند النجرانيين، مثل: عادات الطعام والشراب، والتعاون في ممارسة الأعمال، وتبادل الزيارات، وتفاوت مستوى المعيشة بين طبقات المجتمع، فالأعيان والوجهاء والأغنياء يعيشون حياة أفضل من عامة الناس وبخاصة الفقراء والمزارعين والرعاة وغيرهم . ويدون شيئاً من عمارة بلاد نجران مثل: القصور، والحصون، والمنازل، والقرى، والآبار، والمقابر. ويذكر بعض النقاط الحدودية بين نجران واليمن[٢] . ويشير إلى معلومات عن حياة الناس الاقتصادية كالزراعة والمحاصيل والثمار الموجودة في بلاد نجران . ويصف طبيعة بعض الأسواق الأسبوعية مثل سوق الخميس الأسبوعي وسط مدينة نجران، فيذكر السلع التي ترد إلى هذا السوق وبعضها يصدر من داخل الجزيرة العربية، وأخرى من بلاد الشرق الأقصى، أو أوربا وغيرها من البلاد العربية [٣]، ويشير إلى سعر بعض السلع المعروضة في تلك السوق. وأهمية الأسواق الأسبوعية في نجران، فهي مجمع تجاري وثقافي واجتماعي يلتقي فيها الناس ويتبادلون الأخبار والتجارات، كما أنها مكان لإعلان الأخبار والتوجيهات من قبل الدولة . ويذكر أنه قابل العديد من أعيان ووجهاء منطقة نجران في أسواقها الأسبوعية، وأحياناً في بعض الاجتماعات الرسمية عند أمير نجران، أو بعض رجال الدولة السعودية هناك[٤] .

ويذهب فلبي إلى مأرب في اليمن لفترة تزيد عن الشهرين ويكتب كتابه : **بنات سبأ**، ثم يعود إلى نجران، ويستكمل الفصل رقم (١٦) في كتاب : (مرتفعات الجزيرة العربية) ، وعنوان هذا الفصل هو: **الزيارة الثانية لنجران**، وتقع أيضاً في (٣٩) صفحة، يواصل فيها حديثه عن بعض الجوانب الاجتماعية والإدارية السعودية في البلاد، ويزور بعض الأسواق الأسبوعية ويذكر شيئاً من البضائع التي تصدر إليها، وطريقة حماية الأسواق من قبل أمير نجران ورجال الحسبة، ويضيف تفصيلات عن النقاط الحدودية بين اليمن

---

(١) للمزيد انظر: فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٥٣٠ وما بعدها. ودراسة الحياة الاجتماعية في بلاد نجران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة وتستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٣١ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٣٢ وما بعدها. تاريخ الحياة الاقتصادية، أو التجارة في منطقة نجران خلال العصر الحديث (ق١٢-١٤هـ/ق١٨-٢٠م) من الموضوعات التي لم تدرس في بحوث علمية وتستحق أن تكون عناوين لعدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٤) هناك الكثيرون من الأعيان وشيوخ القبائل والمسؤولين الذين قابلهم فلبي في نجران وذكر أسماءهم . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس السير الذاتية لأولئك الأعلام، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين معروفاً جميلاً . وأكرر القول: بأن فلبي سجل لنا معلومات قيمة عن حياة النجرانيين الاجتماعية في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وآمل أن يأتي أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس مدونات هذا الرحالة عن نجران ويصدرها في رسالة علمية .

والسعودية التي زارها ووقف عليها، ويشير إلى بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا نجران قبله وينتقد بعض أقوالهم ومدوناتهم [١].

و- الفصول من (١٧-٢٣) : يضيف فلبي في الجزء الثاني من كتابه : **مرتفعات الجزيرة العربية**، باباً كاملاً يدرج فيه سبعة فصول من (١٧-٢٣)، الستة الأولى منها ترصد العديد من الأوضاع الجغرافية والحضارية لمنطقة نجران، والأجزاء القريبة منها[٢] . وفي الفصول رقم (١٧، ١٨، ١٩) يدون معلومات جيدة عن وادي حبونا، وعن بلدة بدر الموطن الرئيسي للدعوة الإسماعيلية [٣]. ومعظم تفصيلاته قامت على الرحلة والمشاهدة، كما أنها لا تخلو من صور تاريخية قديمة عن هذه النواحي . ووادي حبونا من الأودية الكبيرة المذكورة في عدد من كتب التراث الإسلامي المبكرة، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحالين الأوائل، وبعض كتب الأنساب، والأدب واللغة، وغيرها من المصادر المتقدمة[٤] .

١١- فؤاد حمزة، وتويتشل (ق١٤هـ/ ٢٠م) :

ولد فؤاد حمزة في لبنان (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م) وفي شبابه خرج من الشام إلى جزيرة العرب، ثم صار مترجماً للملك عبد العزيز، وشغل مناصب عديدة في دولته، وقام برحلات ومهمات دبلوماسية في قارتي أوربا وأمريكا للتعريف بسياسة المملكة العربية السعودية، وكانت وفاته في أوائل السبعينيات الهجرية[٥]. له مؤلفات عديدة، منها : **(١) قلب الجزيرة العربية . (٢) البلاد العربية السعودية . (٣) في بلاد عسير .**

والكتاب الذي يهمنا هو (في بلاد عسير) [٦]، حيث قام فؤاد حمزة برحلة ميدانية من الطائف حتى نجران، وسجل بعض المعلومات عن حياة هذه الأوطان . وفي الجزء الأخير من الكتاب أورد ابن حمزة معلومات مختصرة عن بلاد نجران في حوالي (٢٤) صفحة، أشار فيها إلى شيء من جغرافية المنطقة، وذكرها في بعض المصادر المتقدمة، ثم وجود

---

(١) انظر: فلبي مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٥٦٩-٦٠٨ . ذكرت في أكثر من دراسة وكتاب أن فلبي قدم لنا معارف كثيرة عن الجزيرة العربية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويصعب أن نجد ما ذكره في أي مصدر أو مرجع آخر . وآمل أن تدرس مؤلفاته وبحوثه عن جنوب البلاد السعودية، في بحوث وكتب ورسائل علمية عديدة .

(٢) انظر : فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج٢، ص ٦١٩-٨١٦. وفي هذه الصفحات الكثير من المحاور المهمة التي تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية الموثقة .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً أو باحثين عديدين يدرسون تاريخ وحضارة وادي حبونا، وبلدة بدر وعلاقتها بظهور الدعوة الإسماعيلية في نجران خلال العصر الحديث .

(٤) هناك مصادر كثيرة أشارت إلى وادي حبونا، تركيبته الجغرافية والسكانية، وما جرى على أرضه من أحداث سياسية وحربية وحضارية، ويستحق هذا الوادي أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة .

(٥) للمزيد عن فؤاد حمزة . انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر)، ص ٧٢ .

(٦) يقع الكتاب في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط، وصدر في طبعتين من مكتبة النصر الحديثة بالرياض، الأولى عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، والثانية عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، واعتمدنا في بحثنا على الطبعة الثانية . وللمزيد عن سيرة وأعمال فؤاد حمزة انظر التقديم ومقدمة الناشر لكتاب (في بلاد عسير)، ص ٣-٥ .

اليهودية والنصرانية فيها قبل الإسلام وبعده ووصول المذهب الإسماعيلي إليها في العصر الحديث تحت زعامة المكارمة، وذكر إشارات قليلة عن قرى وسكان منطقة نجران، وبعض أسواقها الأسبوعية، وطرقها البرية، وآثارها، ومحاصيلها الزراعية [١] .

وكارل تويتشل مهندس معادن أمريكي الجنسية، جاء إلى جدة في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأنشأ نقابة التعدين العربية السعودية التي قامت بالتنقيب عن بعض المعادن النفيسة في المملكة العربية السعودية . وحظي برعاية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وتجول في معظم أنحاء البلاد السعودية . ودون العديد من الكتب والبحوث العلمية [٢]، ومنها الكتاب الذي يهمنا في هذه الدراسة، وعنوانه: **المملكة العربية السعودية وتطور مصادرها الطبيعية**، نشر باللغة الإنجليزية عام (١٩٤٦م)، ثم طبع مرة ثانية عام (١٩٥١م)، وترجمه الأستاذ شكيب الأموي إلى اللغة العربية، وقدم له الأستاذ حافظ وهبة، ونشرت هذه النسخة المترجمة بالقاهرة عام (١٩٥٥م)، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها . ويناقش الكتاب العديد من المحاور الرئيسية مثل: (١) الملامح المميزة في البلاد العربية السعودية . (٢) التطور الاجتماعي والسياسي. (٣) مركز البلاد العربية السعودية في الاقتصاد العالمي . (٤) عدد جيد من الصور الفوتوغرافية والخرائط التي أعدها صاحب الكتاب (تويتشل) . (٥) أضاف المترجم حوالي (٦٠) صفحة في نهاية الكتاب وهذه الإضافات عن شيء من التطور الإداري والحضاري الذي مرت به المملكة العربية السعودية أثناء ترجمة ونشر هذه النسخة العربية . وهذا الكتاب من المصادر التاريخية الجيدة للمملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) [٣] .

وفي المحور الأول من الكتاب : الملامح المميزة في البلاد العربية السعودية، يشير تويتشل إلى شيء من التركيبة الجغرافية للمملكة العربية السعودية، وبعض مواردها الطبيعية [٤]، ويشير إلى سقوط الأمطار في الجنوب الشرقي من جبال الحجاز (السروات)، فيذكر أنها تسقط بمعدل (٣-٥) بوصات. وتدخل منطقة نجران ضمن هذا التحديد الذي أشار إليه هذا الرحالة، ثم يذكر تفصيلات عن منطقة نجران، فيقول: " يستدل من الآثار التي عثر عليها على أن هذه المنطقة (نجران) كانت موطناً لحمير... وعند رأس وادي نجران يوجد السد القديم الذي يدعى (موفجة)، وبالرغم من تهدم صحن الوادي

---

(١) لا تخلو مدونات فؤاد حمزة عن نجران من الفوائد، فهو يدون بعض المعلومات الحضارية عن نجران والنجرانيين في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلا أنه لم يسهب في حديثه وبخاصة في بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية أثناء زيارته لهذه البلاد . كما أن رواياته لا تخلو من الأخطاء العلمية مثل حديثه عن القرى، والسكان، والمسافات والطرق وغيرها.

(٢) للمزيد عن جهود تويتشل انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) ((الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، (الجزء الثالث عشر)، ص ٧٣. انظر أيضاً ذكره في أجزاء أخرى من هذا الكتاب الآنف ذكره، وفي كتب أخرى لابن جريس، وهي موجودة في موقعه الإليكتروني (Prof- ghithan.com).

(٣) تقع النسخة المترجمة في حوالي (٣٤٢) صفحة من القطع المتوسط، ويوجد فيها تفصيلات تاريخية جيدة قامت على القراءة والرحلة والمشاهدة من صاحب الكتاب .

(٤) انظر النسخة المترجمة، ص ١٣-٩٢ .

الذي فوق السد يرى شديد الانحدار، ونظراً لضيق مساحته قد لا يكون من السهل إعادته إلى سالفٍ مجده ونفعه. ويوجد على بعد أربعة أميال أسفل الوادي موقع يصلح ليكون خزاناً بديعاً، يدع جبل رؤوم[١]، ويستلزم ذلك إجراء الاحصاءات الدقيقة للفيضانات وتدفق المياه،[٢] لتحسب بموجبها التقديرات اللازمة لبناء خزان لحفظ المياه فيه، ويشمل التقديرات فحص الصخور المفروشة والصخور المتقابلة، فإذا تبين إمكانية بناء خزان بشكل اقتصادي فعندها يمكن الاستفادة من عدد كبير من الأفدنة..."[٣].

وفي عنصر جانبي من المحور الأول في الكتاب يذكر (المراكز الحيوية للحياة القومية) ويسجل بعض التفصيلات عن مدن المملكة العربية السعودية كما شاهدها[٤]، ومن مدوناته عن نجران، قوله : " يقع وادي نجران في النهاية الجنوبية والشرقية من عسير، وتقع حدود اليمن بمحاذاة الجبل إلى الشمال من الوادي بالضبط . ومعدل ارتفاع الوادي (٤٠٠٠) قدم، وطوله (٧٣) ميلاً من رأسه عند السد القديم المدعو موفجة، حتى التلال ومنها إلى السهول الواسعة الممتدة شرقاً إلى الربع الخالي . ويبلغ معدل عرض الوادي حوالي ثلاثة أميال، وهناك عدة قرى في هذا الوادي لكن النشاط والحياة الجدية العملية في نجران تتركز حول مركز رياسة الحاكم الشبيهة بالقلعة، على بعد أربعة أميال من ذلك الرأس. وأما الدوائر والمقر الرسمي والثكنات العسكرية وبيت الضيافة والمجلس والمستودعات فتقع داخل الأسوار، وكذلك المحطة اللاسلكية، ويقع خارجها إلى الشرق مستشفى الحكومة . وبنايات الحاكم مؤلفة من طابقين من الطوب المجفف بالشمس وليس من الآجر، وهو نموذج من البناء يشبه بحسب معرفتي ما هو عليه في عسير، وأما بيوت المزرعة في ذلك الوادي فمحاطة بحقول البرسيم المسورة، وبشجر النخيل، وتتألف من أربعة طوابق أو خمسة، وكان بناؤها بالأصل للدفاع وصد هجمات الغزو، وكذلك لاستعمالها كأحياء مريحة للنوم والماشية، وتشغل الطابق الأرضي الذي يستعمل كمخزن للمحصولات الزراعية، وتخزن الحبوب المحصودة في الطابق الثاني"[٥].

ونجد هذا الخبير والرحالة الغربي يذكر معلومات حضارية جيدة عن وادي نجران، وعن التركيبة البشرية لوسط مدينة نجران وبخاصة مقر المؤسسات الإدارية، وبعض الأنماط العمرانية في تلك الناحية، لكنه لم يذكر لنا شيئاً عن حياة الناس العامة في مدينة

---

(١) صحة هذا الاسم هو : جبل رعوم .

(٢) يتضح من حديث هذا الخبير الأمريكي أنه يدرس أوضاع المملكة العربية السعودية وبخاصة مصادرها الطبيعية مثل: المياه، والمعادن، والبترول وغيرها. وقد جلب الملك عبد العزيز العديد من الخبراء الغربيين الذين عملوا في هذا المجال، وهذا الموضوع يستحق مزيداً من البحث والتوثيق .

(٣) انظر تويتشل . المملكة العربية السعودية، وتطور مصادرها الطبيعية، ص ٤٥.٤٦ . وأقول إن بلاد نجران مازالت بحاجة كبيرة في ميدان البحوث والدراسات العلمية القديمة والحديثة . وآمل من جامعة نجران أن تنشئ بعض الأقسام العلمية التي تهتم بدراسة الأرض والسكان في عموم منطقة نجران .

(٤) تويتشل، ص ٦٩. ٩١ .

(٥) انظر: تويتشل، ص ٧٩ .

نجران وغيرها من المناطق، وبخاصة أوضاعهم الاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والثقافية، وكذلك المالية والإدارية، مع أنه يتحدث عن بلاد نجران خلال الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومازلنا نتطلع إلى مزيد من البحوث والدراسات التفصيلية عن منطقة نجران في تلك الحقبة المهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية [١].

كما يوجد في كتاب تويتشل شذرات حضارية متفرقة عن نجران وما تمتلكه من مؤهلات تنموية واقتصادية [٢]. وفي أحد عناصر الكتاب الذي اسماه (بقايا الفن المعماري وعلم الآثار القديمة) [٣]، وفي هذه الجزئية أشار إلى الأخدود وآثاره في وادي نجران، كما ذكر بعض المواد الأثرية والتراثية التي شاهدها أثناء زيارة منطقة نجران، لكنه لم يفصل الحديث عن تلك الآثار والنقوش التي أشار إليها[٤].

١٢. تركي الماضي، وفيليب ليبنز (ق١٤هـ/٢٠م).

تركي الماضي من مواليد روضة سدير عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)، نال شيئاً من التعليم على يد علماء الروضة، وعندما صار في العشرين من عمره ذهب كاتباً مع أمير عسير عبدالله بن إبراهيم العسكر عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) . وكلف بأعمال عديدة من الأمير ابن عسكر، ومن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وبخاصة في العلاقات بين الحكومتين السعودية واليمنية، فقد حمل العديد من الرسائل، واشترك مع بعض الوفود السعودية التي كانت تسعى إلى حل بعض القضايا السياسية والعسكرية بين البلدين، ومن أهم تلك القضايا الحدود بين اليمن والسعودية، وبعض الصراعات العسكرية التي وقعت بين السعوديين واليمنيين في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) [٥] . وقد استمر في هذا النوع من الأعمال حوالي إحدى عشرة سنة (١٣٤٢-١٣٥٣هـ/١٨٢٣-١٩٣٤م) وفي (١٣٥٣/٣/١٥هـ/١٩٣٤م) عين أميراً لمنطقة غامد وزهران، واستمر في عمله هناك ثلاث سنوات . وفي (١٣٥٧/٢/٢٧هـ الموافق أبريل ١٩٣٨م) عُين أميراً لمنطقة نجران وبقي حاكماً فيها حوالي أربع عشرة سنة . وفي تاريخ (١٣٧١/٩/٩هـ الموافق يونيو ١٩٥٢م) نقل أميراً لمقاطعة أبها، وبقي في عمله حتى توفي في (١٣٨٥/١١/٦هـ الموافق ١٩٦٦م) [٦].

---

(١) هناك عشرات الوثائق غير المنشورة التي تحتوي على معلومات علمية جيدة عن تاريخ نجران السياسي والعسكري والحضاري وبخاصة من الأربعينيات إلى السبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، نأمل أن تكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية في أحد الأقسام التاريخية والحضارية بجامعات المملكة العربية السعودية .

(٢) تمتلك نجران الكثير من المؤهلات والمعالم التاريخية والحضارية، وتستحق دراسة تفصيلية تحليلية في هذا الجانب، كما أن التنمية التي تمر بها بلاد نجران منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن تحتاج إلى حفظ وتوثيق .

(٣) تويتشل، ص ٩٢-٩٩ .

(٤) صدر بعض البحوث والدراسات القليلة عن آثار وموروث نجران، لكن مازلنا بحاجة إلى بحوث علمية موسعة وموثقة، تقوم على أعمال كبيرة في الحفر والتنقيبات عن آثار هذه البلاد العريقة في تراثها وحضارتها .

(٥) للمزيد انظر كتاب: من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢-١٣٧١هـ / ١٩٢٤-١٩٥٤م) (الرياض: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٤٧٠صفحة).

(٦) المصدر نفسه، ص١٥ وما بعدها . وحسب علمي أن أحد طلاب الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد، وهو: عبدالله آل مقوبع أنجز رسالته لدرجة الماجستير في التاريخ عن تركي بن محمد الماضي عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٣م) في حوالي (١٧١صفحة) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٣، ص٤٤٤ .

وكتاب: **من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي**، المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة [١]، وهي مذكرات قيمة اشتملت على معلومات جيدة في مصادرها ووثائقها الرئيسية، ومعاصرة صاحب المذكرات لجميع التفصيلات الواردة في هذا الكتاب. وهناك إشارات حسنة عن البلاد النجرانية في الوثائق المنشورة في هذا السفر، والأفضل من ذلك ما عاصره وشاهده ودونه صاحب المذكرات عندما كان حاكماً عليها (١٣٥٧- ١٣٧١هـ/١٩٣٨- ١٩٥٢م) [٢].

وهذه المذكرات تحتوي على نوعين من المعلومات التاريخية. والحضارية عن بلاد نجران وسكانها. **الأول:** إشارات جغرافية، وسياسية، وعسكرية، وإدارية، وعقدية سجلها تركي الماضي في كتابه، وبعضها منقولاً من مصادر ومراجع مطبوعة ومنشورة، وأخرى وردت في بعض الوثائق والمراسلات بين حكام اليمن والبلاد السعودية، وكان صاحب المذكرات قد اطلع عليها في حينها، وأحياناً كان الرسول في نقلها وتبادلها بين المتراسلين[٣]. **والنوع الثاني:** ما سجله صاحب المذكرات من خلال الرحلة والمشاهدة لبلاد نجران وأهلها، وهذا الذي يهمنا، وسوف نذكر صوراً منه في الفقرات الآتية:

١- ذكر تحت عنوان جانبي أسماه: اسم نجران وصفته، قال فيه: "وبه سميت البلد، ويقع وادي نجران بين سلسلتين من الجبال الشامخة، وهي امتداد من الغرب إلى الشرق، ويشرف وادي نجران من بين هذين الجبلين حتى ينتهي إلى الرملة، وعلى ضفتي الوادي المذكور تقع القرى والنخيل والمزارع، وتبلغ مساحة الأرض المأهولة بالسكان والمزارع والنخيل نحو (٢٦) كيلاً، تبدأ غرباً من الموفجة في أعلى الوادي وتنتهي بقرية رجلاء وآل منجم ..."[٤] ويواصل وصفه لوادي نجران، وما يوجد فيه من القرى والعشائر النجرانية، ويشير إلى بعض الموارد الطبيعية والاقتصادية في هذا الوادي مثل: المياه، والآبار، والأشجار، وبعض المزروعات، وصوراً من التركيبات الاجتماعية لوسط بلدة نجران، ويدون معلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية النجرانية. وبخاصة التجارة، فيقول: "وبعد قدومنا إلى نجران بنحو سنتين [٥]، وجدنا بأن السوق خالٍ من البنايات التي تصلح للسكن، وكذلك ليس به

---

(١) انظر: اسم كتاب (مذكرات تركي الماضي) ومعلومات نشرت في حاشية سابقة من هذه الدراسة.

(٢) أشار تركي الماضي إلى وثائق ومراسلات عديدة بين الدولتين السعودية واليمنية خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان نفسه معاصراً ومشاركاً في تلك الأحداث، وكانت بلاد نجران من المناطق الحدودية المتنازع عليها بين الحكومتين. ومازال هناك وثائق كثيرة غير منشورة عن تلك الحقبة والأحداث وتستحق أن تدرس في هيئة كتب أو بحوث علمية.

(٣) هناك رسائل ووثائق عديدة سجلها تركي الماضي في مذكراته، ووثائق أخرى لم نطلع عليها، وقد يكون بعضها منشوراً في كتب ورسائل علمية أخرى، ونوع آخر ربما مازالت حبيسة الأدراج، ولم تدرس وتنشر حتى الآن. للمزيد انظر: من مذكرات تركي الماضي، ص ٥٣ وما بعدها، وانظر أيضاً، ص ٤٢٠- ٤٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١١- ٤١٢. هذه المنطقة المشار إليها أعلاه مأهولة بالسكان والقرى في وقتنا الحاضر. وقرى وحاضرة نجران تستحق أن تدرس أصولها السكانية، ومواردها الطبيعية.

(٥) يقصد من تاريخ تعيينه أميراً على نجران عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

من الدكاكين إلا مقدار نحو ثلاثة أو أربعة دكاكين[١]. والسوق عبارة عن أرض صحراوية يرتادها الأهالي والبوادي، والوافد من أهالي اليمن وغيرهم في يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع. فبادرنا بتخطيط الأراضي وقمنا بتوزيعها على المستحقين الراغبين، وشرعوا في البناء، وكثرت المساكن والدكاكين إلى ستمائة دكان وثلاثة مساجد وأربعمائة دار، وقد زادت الحركة وتكون من ذلك مدينة لا بأس بها، ثم زادت الحركة التجارية بعد أن استمر ورود السيارات من مكة والرياض محملة بالبضائع والأطعمة، وكانت السيارات قبل ذلك لا ترد إلى نجران[٢]. وقد قمنا بتأسيس قصر الإمارة الجديد عام (١٣٦١هـ)، وانتهى في نهاية عام (١٣٦٢هـ)، حيث أن القصر الأول قد خرب ولم يعد صالحاً للسكن[٣]. ويوجد في مدينة نجران عدد من الجالية اليمنية التي تمارس البيع والشراء، وسائر المهن التي لا يستطيع الأهالي القيام بها، كما أنه يوجد جماعة من النجديين والحجازيين استوطنوا نجران وفتحوا محلات تجارية وأفادوا واستفادوا"[٤].

٢- يذكر شذرات من تاريخ نجران القديم، فيورد شيئاً مما دونه الهمداني، وبعض كتب السير والأنساب عن أصول بعض سكان نجران وبخاصة قبيلة يام، وقصة أهل الأخدود وما جرى لهم على يد ذي نواس، ويشير إلى أهمية آثار نجران، كما أشار إلى نسب المكارمة، ودخولهم نجران، وأورد عدد (١٧) من زعمائهم[٥]. ثم دون لمحات من صادرات نجران أيام إمارته على البلاد (١٣٥٧- ١٣٧١هـ / ١٩٣٨-١٩٥٢م)، فقال: " كانت نجران تصدر القمح والذرة والتمور والمواشي، وبعد أن كثر السكان شرعوا يستوردون الحبوب إلى نجران لأن حاصلات بلادهم لا تقوم بكفايتهم ويستوردون البقر والبن والسمن والزبيب والجلود من اليمن، ويصدرون التمور إلى صعدة. وتبعد مدينة صعدة اليمن عن نجران بمرحلتين على الجمال، وهناك من الحدود اليمنية ما هو أقرب إلى نجران من صعدة،

---

(١) تاريخ التجارة والعمارة في بلاد نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات المهمة والجديدة في أبوابها وتستحق أن تكون عناوين لكتب أو رسائل علمية.

(٢) أشار صاحب المذكرات إلى بداية العمران الحديث في بلدة نجران، وإلى دخول السيارات إلى نجران، وهذان الموضوعان يستحقان البحث والتوثيق في هيئة كتاب أو رسالة علمية. كما أن بلاد نجران منذ نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر تستحق العديد من الدراسات التاريخية والحضارية الرصينة.

(٣) تاريخ الإدارة الحديثة في نجران من عام (١٣٥٠-١٤٤٠هـ/١٩٣١-٢٠١٩م) موضوع جديد في بابه ويستحق أن يكون عنوانا لرسالة علمية أو كتاب توثيقي. انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض : مطابع الحميضي، ٣٢- ١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م) (الجزء الثالث)، ص ٢٤١-٢٨٦.

(٤) لقد أحسن الأستاذ تركي الماضي في الإشارة إلى بعض العناصر البشرية التي تسكن وتعمل في بعض الأعمال والحرف في نجران في أوائل النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن يذهب إلى نجران اليوم يجد أنه يوجد فيها عناصر عديدة من أنحاء المملكة العربية السعودية، نعم قبيلة يام وغيرها من قبائل العرب تستوطن نجران منذ مئات السنين، لكن التركيبة البشرية في منطقة نجران اليوم مكونة من أهل البلاد أنفسهم ومن أجناس عربية وغير عربية، وهذه التركيبة تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية، ونأمل من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث علمية تهتم بدراسة ما يتعلق بالأرض والسكان في منطقة نجران.

(٥) انظر : من مذكرات تركي الماضي، ص ٤١٣- ٤٢١. من يدرس تاريخ نجران السياسي والعقدي فإنه سوف يجد نصوص متفرقة في مصادر التراث الإسلامي، وفي بعض الكتب الكلاسيكية القديمة اللاتينية وغيرها. ومازال تاريخ نجران قبل الإسلام يستحق الكثير من الباحثين والمتخصصين الجادين.

ومن ذلك وادي الفرع بقبيلة وائلة، ويمتاز هذا الوادي بكثرة الأعناب وجميعها تستهلك في وادي نجران، لأن المسافة من وادي الفرع إلى وادي نجران لا تزيد على ثلاث ساعات للإبل والدواب "[١] .

٣- وفي نهاية حديثه عن نجران يذكر معلومات لابأس بها عن قرى وادي نجران، ويشير إلى مدينة الأخدود ويذكر بعض آثارها، ويوصي بالاهتمام بها تاريخيا وعلميا، ثم يشير إلى وادي حبونا الذي يقع في شمال نجران، ويذكر بعض قراه وقبائله[٢] .

أما فيليب ليبنز فهو ضابط بلجيكي له رحلات ومغامرات في بعض البلاد العربية، كان واحداً من الفريق العلمي الذي سار مع فلبي في رحلة وسط وجنوب غرب الجزيرة العربية عام (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)[٣] . عبر ليبنز ورفاقه بلاد السروات إلى نجران ثم إلى بلاد نجد، وألف في ذلك كتاباً: عنوانه : **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، ونشره باللغة الفرنسية في منتصف القرن الميلادي الماضي، وترجم في دارة الملك عبدالعزيز إلى العربية، ونشر عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) [٤] .

ويرحل هذا الفريق العلمي من مدينتي أبها وخميس مشيط نحو طريب، وبلاد تثليث، والأمواه حتى أجزاء بلاد نجران الشمالية مثل ناحيتي يدمة ووادي حبونا، ثم يواصلون السير حتى مدينة نجران[٥] . وفي هذه الرحلة الطويلة، يدون فيليب معلومات جيدة عن جغرافية البلاد التي مروا عليها، وبعض القرى والأماكن الاستيطانية من أبها حتى مدينة نجران، ويشير إلى رسومات صخرية ونقوش عديدة شاهدوها ونقلوا بعضها في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير، وأيضاً صوراً أخرى اجتماعية، واقتصادية، وتاريخية، وحضارية [٦] .

وفي حوالي (٢٣) صفحة، عنوانها (الإقامة في نجران) [٧] . ويشير في هذه الصفحات إلى شيء من جغرافية وادي نجران، وإلى منطقة الأخدود، وما يوجد في هذا الوادي من

---

(١) من مذكرات تركي الماضي، ص ٤٢٢ .

(٢) ما دون تركي الماضي عن نجران لا يعطى القارئ صورة واضحة عن تاريخ وحضارة نجران وبخاصة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلا أن صاحب هذه المذكرات أشار إلى نقاط ومعلومات جديدة في بابها، وتستحق أن تدرس وتوثق في كتب وبحوث علمية أوسع وأطول .

(٣) كان الفريق العلمي مكوناً من هاري سانت جون فلبي، والأستاذ كونزاك رايكمانز، أستاذ اللغات السامية في جامعة لوفان، والسيد فيليب ليبنز الخبير في تخطيط الرسوم وتصوير الآثار القديمة والنقوش . للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٣، ص٨٢ .

(٤) انظر الكتاب في نسخته العربية (٢٧٥) صفحة .

(٥) فيليب ليبنز. رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية . ترجمه من اللغة الفرنسية إلى العربية محمد محمد الحناشي. (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٧٣ وما بعدها . للمزيد عن هذه الرحلة وما دونه فيليب ليبنز فيها من أبها إلى نجران انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣٢- ١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م) (الجزء الثالث)، ص ٣٥٧-٣٦٠ .

(٦) انظر: فيليب ليبنز، رحلة استكشافية، ص ٧٤ وما بعدها .

(٧) انظر المصدر نفسه، ص ١٢٩- ١٥٢ .

القـرى، والمعالم الجغرافية الأخرى، مثل: بعض الجبال، والهضـاب، والموارد المائية، وأبنية أهلية، أو رسـمية، كما أشار إلى بعض الأعلام في نجران مثل: أمير نجران تركي بن محمد الماضي، وشيوخ وأعيان وأفراد وأسر شاهدهم وتحدث معهم [١]. كما أورد معلومات مختصرة عن نجران قبل الإسـلام، وأشـار إلى مواطن قديمة كان سـكانها من الوثنيين أو المسيحيين وبعض اليهود [٢] . وفي باب التاريخ الاجتماعي والاقتصـادي يدون لنا ليبنز معلومات قيمة، فيذكـر بعض الألبسـة والزينة عنـد بعض فئات المجتمع النجراني، فيقول : " كانت النسـاء والفتيات يلبسن بذلاتٍ جميلةٍ ذات خطوط عمودية صفراء وسوداء . وهناك فتاة ذات قامة ممتلئة وتلبس خماراً برتقالياً معقوداً خلف شعرها، معلقةٍ في عنقها لوحة كبيرة من الفضة المنقوشة تتدلى على صدرها ولابسة حزاماً ذهبياً ومزيناً بأحجار ملونة..." [٣] .

ويتحدث هذا الرحالة عن صور من العمارة في مدينة نجران، فيذكر حفر وبناء بعض الآبار، وتشـييد بعض المصـبات المائية، أو المنازل، والأسـوار، والمدرجات الزراعية ويشير إلى هيئة بعض القرى أو المجمعات السكنية في وادي نجران . كما زار أمير منطقة نجران، وبعض شـيوخ وأعيان البلاد، وأوردٍ تفصـيلات جيـدة عن البيوت أو القصـور التي كانوا يسـكنونها، حيث كان بعضـها كبيراً وواسعاً، وتتكون من سـتة أو سبعة طوابق، ويحيط بها مرافـق عديدة، ومعظم مواد بنائها محلية، وهذا النـوع من المنازل لا يملكها إلا الأغنياء، وبعض الوجهاء والشيوخ، أما عامة الناس فيسكنون في بيوت متواضعة مبنية من الطين، أو الحجارة والطين، ومعظم بدو نجران يسكنون الخيام [٤] .

ويذكر فيليب ليبنز بعض الأطعمة والأشـربة التي تناولها أو شـاهدها في بعض منازل النجرانيين مثل: الخبز المصنوع من حبوب الحنطة، أو الذرة والشعير . ولحوم الأبقار، أو الإبل والأغنام، وبعض المشتقات الحيوانية كاللبن، والسمن، والزبد . ويصف وجبة تناولها ورفاقه في منزل الأمير تركي الماضي، وكانت تتكون من " قطع الحامض، والبصل، والخل، وقشدة الحليب المعطر، وقطع اللحم "[٥] .

ويفصـل الحديـث عن سـوق نجـران الأسـبوعي، ومايرد أو يُصـدر إليه من السـلع الداخلية والخارجية، فيقول : " يوم الإثنين هو يوم السـوق في نجران ... وهو مكان تتكاثر فيـه الجمال والحمير المحملة بالأكياس، والعلف، والقرب، وحزم الحطب، وعندما تصـل هـذه الحيوانات إلى السـوق كانت تكمم وتكبح بطرق مختلفة، بعضـها تثنى سـاقه خلف

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٩-١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢-١٣٧ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦-١٤٧. تاريخ اللباس والزينة عند النجرانيين خلال القرون الثلاثة الماضية من الموضوعات الجديدة في بابها، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى من يدرسه في عمل علمي موثق.

(٤) فيليب ليبنز، ص ١٥٠ .

(٥) المصـدر نفسـه، ص ١٤٩. والأطعمة والأشـربة في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضـوع مهم وجيد وجديـد ويسـتحق أن يدرس في كتـاب أو رسـالة علمية . ومعظم مـادة هذا العنـوان مازالت ميسـورة عند بعض المعاصرين الذين مازالوا على قيد الحياة، أو في بعض الوثائق والمصادر المتنوعة .

ركبته، وبعضها توثق ساقاه الأماميتان بحبل بعد أن يشدا إلى بعضهما ... وكان في السوق حوالي أربعمائة شخص رجالاً ونساءً قدموا من مختلف الجهات لتبادل أو بيع منتجاتهم. كل واحد منهم يضع بضاعته على الأرض، أو قفات مفتوحة، أو سلال من القصب، أو في قطع من القماش التي تستخدم كذلك في عرض البضائع، والنساء نصف المحتجبات يسرن بين الناس ببضائعهن المرفوعة فوق رؤوسهن. والرجال يرتدون الثياب البيضاء المغطاة أحياناً بالعباءات، وبعضهم يرتدي معطفاً ثقيلاً من جلد الغنم المقوى، وكان هناك عدد من الزبائن من فصيلة الزنوج، أما النقود فتحمل في كيس صغير من القماش، ذلك لأن النقود لم تدخل بعض النظام النقدي السعودي[١] ..." حقاً إن هذا الرحالة أشار إلى معلومات اقتصادية حضارية عن حياة الناس [٢] في سوق نجران الأسبوعي في سبعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م)، واليوم تطورت نجران في شتى المجالات الإدارية والحضارية [٣].

ويواصل هذا الرحالة الأوروبي الحديث عن مجتمع سوق نجران الأسبوعي، فيقول: "... داخل هذا الزخم من البشر والحيوانات تبودلت المنتوجات بالأيدي، حزم من الخشب، ثم الحبوب وخاصة الأرز والخضروات، وبخاصة الطماطم والباذنجان، والتوابل، والفحم الخشبي، وأعواد الكبريت، أو الأقمشة القطنية. وعلى الرغم من أن العملة الرسمية هي قطعة من الفضة، أي الريال ... ولاتزال هناك بعض الحوانيت الصغيرة الواقعة في العمارات التي تحيط بالمكان، تصل مساحتها إلى بضع أمتار مربعة أولها باب بدون نوافذ. أما النخبة من التجار المحليين فتبيع بالإضافة إلى البضائع المعروفة، القماش، والأحذية الصيفية، والدخان، والخوخ الكاليفورني المعلب، بالإضافة إلى الأسلحة المنقوشة بعناية، التي يعد غمدها المقوس والمزخرف أحياناً أثراً عالمياً"[٤].

١٣. مجلة العرب (حمد الجاسر)، ومحمد حميد الله الحيدري، والقاضي محمد بن علي الأكوع (ق١٤-١٥هـ/ق٢٠-٢١م):

هؤلاء العلماء الثلاثة (الجاسر، وحميد الله، والأكوع) ممن خدموا التاريخ والتراث والحضارة الإسلامية، وقد حظيت شبه الجزيرة العربية بجهود جيدة من هؤلاء الأعلام[٥]. وحمد بن محمد الجاسر من مواليد قرية البرود في نجد عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، نال تعليمه في سن مبكرة، وبذل جهوداً كبيرة في تطوير نفسه في ميادين العلم، والقراءة،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٣) هذا النمو والتطور الذي جرى على بلاد نجران وأهلها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى يومنا الحاضر (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، من الموضوعات التاريخية الحديثة والمعاصرة، ويستحق الدراسة والتوثيق العلمي.

(٤) أشرت في أكثر من مكان من بحوثي ومؤلفات إلى أهمية ما حفظ لنا الرحالة المتقدمون والمتأخرون من مواد علمية قل أن نجدها في أي مصدر آخر. ونرى فيليب ليبنز في هذه المدونات يذكر صوراً جيدة وجديدة عن حياة النجرانيين الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) كل واحد من هؤلاء العلماء الثلاثة يستحق أن يصدر عنه وجهوده المباركة في خدمة العلم والمعرفة العديد من الكتب والبحوث العلمية الموثقة.

والبحث، وحقق عشرات الكتب والبحوث العلمية وبخاصة ما يتعلق بشبه الجزيرة العربية[١] . سعى إلى تأسيس مجلة علمية تهتم بتراث وحضارة وفكر وموروث الجزيرة العربية، وأطلق عليها اسم (العرب) ، وهي مجلة شهرية، صدر الجزء الأول منها في شهر رجب عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ، ومازالت تصدر حتى الآن[٢] .

وقد استقرأت هذه المجلة، وما نشر فيها عن بلاد نجران، فوجدت الأستاذ الجاسر وغيره من الباحثين دونوا معلومات متفرقة عن الإنسان والأراضي النجرانية . ويشيرون إلى أن اسم نجران اطلقت على مواضع عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، لكن أشهرها بلاد نجرانٍ المعروفة في وقتنا الحاضر، والتي نحن بصددها في هذه الدراسة[٣] . ويورد الجاسر نقلاً عن الرحالة والجغرافي الإدريسي معلومات عن مدن نجران وجرش وخيوان، ويقول : " كلها متقاربة في المقدار والعمارة، وفيها تدبغ الجلود اليمنية التي لا يبلغها شيء في الجودة، ولها مزارع وضياع ومكاسب وتجارات، يتقلبون فيها ويتعيشون منها، وبين خيوان ونجران ست مراحل"[٤] . وهناك بعض الإشارات إلى حروب قبيلة بنو الحارث بن كعب مع غيرها من القبائل القحطانية أو العدنانية قبل الإسلام وبعده[٥] . ويوجد بعض الإشارات عن بعض المواضع في منطقة نجران مثل: بدر الجنوب، ووادي حبونا، ومعدن الرضراض في محيط بلاد نجران[٦] . وفي جولة للجاسر في المغرب العربي، يذكر أنه شاهد الكثير من القرى التي تعرف بأسماء أشخاص أو أسر، وكذلك أسواق أسبوعية وتسمى بعض النواحي أو القرى بأسمائها، فيقال: قرية، أو بلدة سوق الثلاثاء، أو الأربعاء، أو الخميس، وهكذا، ثم قال: " وذلك كالحال في الحجاز والسراة وجنوب الطائف إلى نجران، وفي نجران وتهامة وأودية السراة الجنوبية الشرقية كتثليث، وطريب، ووادي بيشة، ووادي رنية، ووادي العقيق وما حولها"[٧] . وهذا التشابه ربما جاء من الأصول العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى مصر وبلاد المغرب خلال القرون

---

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر) ، ص ٨٤ .

(٢) كان الأستاذ الجاسر صاحب هذه المجلة ورئيس تحريرها، وهي من الأوعية العلمية الجيدة، وفيها عشرات البحوث الرصينة، ويتولى الإشراف عليها وتحريرها بعد وفاة الشيخ الجاسر نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات الجيدين . وهذه المجلة تستحق أن تدرس في عدد من الرسائل أو الكتب العلمية، وهذه مسؤولية الأقسام الأكاديمية في الجامعات العربية الإسلامية .

(٣) هناك مواضع عرفت باسم نجران في بلاد البحرين، والشام، والعراق، كما يوجد بعض الحصون أو القلاع في منطقة جازان وعرفت باسم نجران، وقد شيدت خلال القرن (١٣هـ/١٩م) . للمزيد انظر: مجلة العرب، ج١٠، سنة (٣) (ربيع الثاني/ ١٣٨٩هـ الموفق يوليو/١٩٦٩م) ، ص١٠٢١.ج٧، سنة (٧) محرم/ ١٣٩٣هـ. فبراير/١٩٧٣م) ، ص ٥٩٤. ج٩. ١٠، سنة (٨) (الربيعان /١٣٩٤هـ الموافق إبريل، مايو/١٩٧٤م) ، ص ٧١٩، ٧٢٢ .

(٤) مجلة العرب، ج٢، سنة (٥) (شعبان /١٣٩٠هـ. أكتوبر/١٩٧٠م) ، ص١١٩ .

(٥) مجلة العرب، ج١، سنة (٨) (رجب /١٣٩٣هـ. أغسطس /١٩٧٣م) ، ص ٢٩.٣٠ .

(٦) مجلة العرب، ج٦، سنة (٦) (ذو الحجة /١٣٩١هـ الموافق فبراير/١٩٧٢م) ، ص ٥٣١ . ج١، سنة (٨) (رجب/ ١٣٩٣هـ. ١٩٧٣م) ص٥ .

(٧) مجلة العرب، ج١٠، سنة (٧) ، ربيع الثاني (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، ص ٨٠٢ .

الإسلامية المبكرة والوسيطة"[١]. ويزور الجاسر نجران عام(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، بسبب دعوة وصلته من وزير الزراعة آنذاك يدعوه إلى حضور افتتاح سد وادي نجران. وأشار إلى معلومات محدودة عن أهمية السد، والتنمية التي تمر بها بلاد نجران في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكنت آمل من الشيخ أن يكون رصد لنا التركيبة الحضارية لمنطقة نجران أثناء زيارته لها، وهو خير من يسجل ذلك فهو صاحب قلم ومعرفة وتجربة جيدة تؤهله أن يفعل ذلك، لكنه تجاوز ذلك وتحدث عن الأخدود، وأشار إلى بعض الروايات التي وردت عنه عند بعض المفسرين، والمؤرخين، والجغرافيين الأوائل[٢].

أما الأستاذ محمد حميد الله الحيدري من مواليد مدينة حيدر أباد بالدكن في الهند عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، بدأ تعليمه في مسقط رأسه بالهند، ثم ذهب إلى أوربا وتعلم وعمل في عدد من الجامعات الأوربية، وهو مؤرخ، ومحدث، وفقيه، ويجيد اللغة العربية وعدد من اللغات الغربية والآسيوية، ويعد من أعلام الثقافة العربية والإسلامية الكبار، كتب ونشر عشرات الكتب والبحوث باللغة العربية ولغات أخرى عديدة، وافته المنية في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)[٣]. واقتصرنا حديثنا في هذه الدراسة على كتابه: **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة**[٤]. والكتاب في مجمله يشتمل على الكثير من الوثائق والمراسلات التي جرت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، جمعها المؤلف من مصادر التراث الإسلامي الأولية وفيها الكثير من الروايات والحقائق التي مازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحليل[٥]. وقد جمع المؤلف في حوالي (٣٨) صفحة المراسلات بين الرسول ﷺ وأعيان وشيوخ بعض القرى، أو الأسر، أو العشائر الوثنية النجرانية، الذين اعتنقوا الإسلام، فالرسول ﷺ عن طريق رسله إلى نجران كتب لهم الحقوق والواجبات التي عليهم[٦]. وهناك مراسلات متبادلة بين الرسول ﷺ ونصارى نجران الذين صالحهم النبي ﷺ على دفع الجزية، وصار الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه على نفس الصلح الذي عقده الرسول ﷺ، لكن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرر إخراجهم من نجران إلى الكوفة في العراق، وعوضهم

---

(١) هناك الكثير من الهجرات العربية التي خرجت من جنوب الجزيرة العربية إلى بلدان عديدة في العالم الإسلامي، وقد حظيت بلاد المغرب والأندلس بالكثير من تلك الهجرات. وموضوع الصلات بين سكان اليمن ونجران والسراة مع بلاد مصر والمغرب والأندلس في القرون الإسلامية الأولى من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والتوثيق.

(٢) مجلة العرب، ج٦٥، سنة (١٧)، ذو القعدة والحجة (١٤٠٢هـ/ الموافق سبتمبر، وأكتوبر/١٩٨٢م)، ص ٣٢١. ٣٢٥. آمل أن أقوم برحلة إلى جميع أجزاء منطقة نجران وأكتب شيئاً عن التنمية والتطور الحضاري الذي تمر به هذه البلاد منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر.

(٣) كانت وفاة محمد حميد الله في (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، وقد خلف لنا ثروة علمية كبيرة في علوم ومعارف وتخصصات عديدة.

(٤) الطبعة التي اعتمدنا عليها (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ)، ويظهر في مقدمة الكتاب أن حميد الله كتبها وهو في الجامعة العثمانية في مدينة حيدر أباد بالهند خلال الأربعينيات من القرن الميلادي الماضي.

(٥) انظر مادة الكتاب التي تقع في (٤٢٤ صفحة).

(٦) للمزيد انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٨٣ وما بعدها. وهذه المراسلات المتبادلة بين الرسول ﷺ والوثنيين ثم المسلمين في نجران درست في كتب وبحوث عديدة، لكنها مازالت تحتاج إلى مزيد من النقد والتحليل.

بأملاك وعقارات هناك[١]. ويوجد في هذه المراسلات مادة علمية جديدة، وهي متناثرة في كثير من كتب التراث الإسلامي، وقام محمد حميد الله بجمعها في هذا السفر، وما يتعلق بالنجرانيين (نصارى ومسلمين) يستحق أن يدرس في هيئة بحث علمي مطول، مع توظيف منهج النقد والتحليل لهذه الوثائق وآثارها الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والعلمية[٢].

والقاضي محمد علي الأكوع من مواليد مدينة ذمار عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، تلقى تعليمه في بداية حياته على يد والده في مسقط رأسه، ثم عمل في التدريس بمدينة إب، أسس مع بعض زملائه جمعية الإصلاح في إب عام (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م)، قابل العديد من المتاعب السياسية، واعتقل أكثر من مرة، ومكث في السجن سنوات عديدة . وفي عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) عين قاضيا ثم نائبا لوزير العدل، ثم صار وزيرا للأوقاف عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وأخيرا أصبح رئيسا للجنة التأليف والنشر. يعد القاضي محمد الأكوع من أشهر علماء ومؤرخي اليمن في العصر الحديث، ألف وحقق بعض الكتب والبحوث العلمية عن تاريخ وحضارة وأنساب وتراث الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها، ويوجد في مؤلفاته والكتب التي حققها الكثر من المعلومات عن تاريخ وتراث وحضارة نجران[٣].

ومن مؤلفات القاضي محمد الأكوع كتاب: **الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة (٣٣٢هـ)**. وقد استقى فكرة هذا الكتاب من مؤلف محمد حميد الله الحيدري السابق ذكره، وأشار الأكوع إلى ذلك صراحة، إلا أنه توسع في المدة الزمنية فاشتملت الوثائق المجموعة في هذا السفر على عصر ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية الأولى حتى عام (٣٣٢هـ/٩٣٣م)، عصر استقلال اليمن داخليا، أيام الدولة الحوالية الحميرية [٤]. وعندما فحصنا كتاب الأكوع نجده لا يخرج كثيرا عما ذكره محمد حميد الله في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، فأشار إلى الرسائل بين الرسول ﷺ وبين النجرانيين (نصارى ومسلمين) [٥]، كما نوه عن مراسلات الخلفاء الراشدين من وإلى نجران أو الكوفة فيما يتعلق بنصارى نجران وهم في بلاد نجران، أو بعد نقلهم إلى العراق [٦]. وإذا كان الأكوع ذكر بعض الوثائق السياسية اليمنية حتى أوائل القرن (٤هـ/١٠م)، فمازالت شذرات محدودة تخص حواضر اليمن الرئيسية وبخاصة مدينة

---

(١) انظر : محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٩٢- ١٢١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٣- ١٢١ . للمزيد انظر غيثان بن جريس . نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١-ق٤هـ/ق٧-ق١٠م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الأول) .

(٣) من يبحث في فهارس المكتبات المركزية العربية والعالمية، وكذلك على الشبكة العنكبوتية فإنه سوف يطلع على أسماء الكتب والبحوث التي أنجزها القاضي محمد الأكوع . ونأمل أن نرى باحثا جادا يدرس ما حقق أو كتب عن نجران والنجرانيين .

(٤) انظر: محمد علي الأكوع الحوالي . الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى سنة (٣٣٢هـ) (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) (٣١٧صفحة) .

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٩- ٩٦ .

(٦) المرجع نفسه، ص ١٦١- ١٦٢، ١٧٣، ١٨٨، ١٩٠ .

صنعاء وما حولها من البلدان، أما نجران فلا نجد لها ذكراً في هذه الوثائق المنشورة في هذا الكتاب. مع أنه يوجد بعض الوثائق السياسية والحضارية عن نجران وما جاورها من المدن اليمنية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وجلها توجد في بعض المصادر اليمنية وبخاصة الزيدية[١].

١٤. عاتق البلادي، وعبد الرحمن صادق الشريف (ق١٤-١٥هـ/ق٢٠م):

البلادي هو عاتق بن غيث بن زائر بن حمود، ونسبته إلى عشيرته البلادية، وهي فرع من قبيلة حرب. ولد عاتق عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م) شمال مكة، عند جبل يطلق عليه اسم (أبيض). بدأ دراسته في وادي خليص، وبعد وفاة والده عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) انتقل إلى مكة، وحصل على المرحلة الابتدائية في المدرسة السعودية، ثم التحق بالجيش السعودي، وتقلد العديد من الرتب العسكرية حتى تقاعد عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). اجتهد في تطوير نفسه في ميادين القراءة والكتاب، وبدأ يكتب بعض المقالات في الجرائد والمجلات من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وله العديد من الدراسات والكتب المطبوعة والمنشورة، ومعظم مؤلفاته تدور في محيط تاريخ وتراث وجغرافية منطقة الحجاز[٢].

كتاب: **بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات)**، للرحالة عاتق البلادي، يقع في (٤٠٧) صفحة من القطع المتوسط[٣]. وجميع مادة هذا السفر ترصد رحلة البلادي من مكة إلى نجران عبر جبال السروات في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)[٤]. ونجد نصف مادة الكتاب عن تاريخ وحضارة نجران عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث. فعند خروجه من ظهران الجنوب نحو نجران يذكر بعض محطات الطريق من بلاد وادعة إلى مدينة نجران، ونزل ضيفاً على صهره قاضي مستعجلة نجران الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي[٥]، والتقى هذا الرحالة بوكيل إمارة نجران، الأستاذ سلطان بن خالد السديري، ومكث حوالي خمسة أيام في منطقة نجران زار بعض أعلامها في وادي نجران، ووادي حبونا، وناحيتي شرورى والوديعة، وذكر شيئاً من معالم هذه البلاد الجغرافية، وزار سد وادي نجران، وأشار موقعه الجغرافي، وأهميته الاقتصادية

---

(١) آمل أن نرى باحثاً جاداً يقوم بجمع الوثائق والمراسلات بين أهل نجران والدولة الزيدية من القرن (١٣-٣هـ/ق٩-١٩م)، وهي موجودة ومتناثرة في الكثير من المصادر والمخطوطات وبعض الأراشيف المحلية والإقليمية والعالمية. ومن يتولى هذا الأمر فإنه سوف يقف على الكثير من الوثائق السياسية والعسكرية والحضارية التي تشتمل على مواد علمية متنوعة ومفيدة في أبوابها.

(٢) للمزيد انظر العديد من مؤلفات عاتق البلادي، وانظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٣، ص ٨٦-٨٧.

(٣) من مطبوعات دار مكة للنشر والتوزيع (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ومن يطالع فهارس المكتبات الجامعية وغيرها فإنه سوف يجد عشرات البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة لهذا الرحالة الحجازي في العصر الحديث. ويستحق أن يفرد له ولجهوده العلمية عدد من الكتب أو البحوث العلمية.

(٤) كانت بداية الرحلة في (٢/شعبان/١٤٠٠هـ الموافق ١٨/يونية/١٩٨٠م).

(٥) الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي من حوازم حرب، ولد بوادي الصفراء في الحجاز، وحصل على الشهادة الجامعية من الجامعة الإسلامية، وقضى حياته العملية في سلك القضاء.

والحضارية[١]. ونوه إلى بعض طبقات المجتمع النجران فذكر العشائر الرئيسية في المنطقة، مثل: قبيلة يام، وقبائل نهد، والصيعر، وبالعبيد، كما ذكر بعض الأشراف في ناحيتي عويرة وصنعاء في مدينة نجران [٢]، وأشار إلى بعض السكان اليمنيين الذين يستوطنون أجزاء من نجران . ودون بعض المعلومات عن المكارمة أئمة الإسماعيليين في نجران واليمن [٣].

والبلادي قابل عدداً من أعيان المجتمع النجراني، ودخل بيوت علية القوم، وزار بعض المطاعم وتناول بعض الأطعمة فيها، إلا أنه لم يفصل لنا شيئاً عن الأطعمة والأشربة، وكذلك الألبسة والزينة، كما انه لم يدون أي شيء عن أعراف وعادات وتقاليد النجرانيين . وأشار إلى وجود بعض المؤسسات الإدارية في مدنية نجران، وحبونا، وشرورى، والوديعة، وذكر أن بلدتي الوديعة وشرورى كانتا صحاري قاحلة، وفي السبعينيات والثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) أنشئت فيها مراكز إدارية، كونها مناطق حدودية مع اليمن، وكنت آمل من الأستاذ البلادي أنه فصل لنا الحديث عن تركيبة هذه البلاد السكانية، وتاريخها الحضاري عند زيارته لها في مطلع هذا القرن الهجري (١٥هـ/٢٠م) [٤].

وفي حوالي (١١٧) صفحة من الكتاب ينقل البلادي من المصادر والمراجع شيئاً من التاريخ السياسي والعسكري الذي عرفته بلاد نجران منذ عصور ما قبل الإسلام إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وجل المادة التي ذكرها منقولة من بعض المصادر الزيدية التي فصلت الصراعات العسكرية بين النجرانيين والأئمة الزيدية [٥]. وأقول إن تاريخ نجران منذ القرن (٣-١٢هـ/٩-١٨م) مازال غامضا، ولا نجد مصادر موثوقة تؤرخ لهذه الفترة، ونأمل أن نرى من مؤرخي الجزيرة العربية أو غيرهم من يدرس لنا تاريخ هذه الحقبة الزمنية الهامة [٦].

ويدون في نهاية الكتاب ست عشرة صفحة يذكر فيها موجزاً قصيراً عن بعض المؤسسات الإدارية في مدينة نجران أثناء زيارته لها من (٥-٩/٨/١٤٠٠هـ)، لكنه لا يعطينا صورة واضحة عن تاريخ ونشاطات تلك الإدارات، كما يذكر نماذج من الأدوات الأثرية التي شاهدها في الأخدود أثناء زيارته وتجواله في أرجائه، وأشار إلى بعض الأقوال عن

---

(١) البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ٩٣ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٣ - ١٠٤ .

(٣) تاريخ الحياة الاجتماعية في نجران خلال القرون الثلاثة الماضية (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م)، وأيضاً تاريخ الدعاة المكارمة خلال الفترة نفسها من الموضوعات الجديدة ويجب أن تدرس في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية .

(٤) اعلم اليوم أن بلاد شرورى والوديعة أصبحت متطورة في جميع الميادين التنموية، ويستوطنها آلاف البشر من أهل البلاد، ومن مناطق عديدة في المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى بعض العناصر البشرية الوافدة إليها للعمل في العديد من القطاعات الحضارية . وآمل أن أقوم بجولة على عموم منطقة نجران أدون فيها شيئاً من التنمية والتطور الذي تمر به بلاد نجران منذ بداية هذا القرن الهجري حتى وقتنا الحاضر .

(٥) البلادي بين مكة وحضرموت، ص ٢٢٢-٣٣٩ .

(٦) لقد أصدرت الجزء الأول من تاريخ نجران من القرن (١-٤هـ/٧-١٠م) في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، وصدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، وآمل أن استكمل دارسة تاريخ نجران في القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة، وهي جديرة أن تدرس في عدد من البحوث العلمية الرصينة .

كعبة نجران، وذكر مكانها حسب اعتقاده. وهذان المحوران اللذان ذكرهما، (تاريخ الإدارات الحديثة، وكعبة نجران)، مازالتا تستحقان المزيد من البحث والدراسة والتأصيل[١].

أما عبد الرحمن صادق الشريف فهو أستاذ جامعي، عمل في عدد من الجامعات العربية، وبخاصة جامعة الملك سعود، فقد عمل في قسم الجغرافيا كلية الآداب سنوات عديدة، وله الكثير من البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة. ونجد في كتابه: **جغرافية المملكة العربية السعودية**[٢]، الذي يقع في جزئين، أنه قام بالعديد من الرحلات والجولات الميدانية في جنوب غرب المملكة العربية السعودية. والمعروفة باسم (بلاد تهامة والسراة) والممتدة من الطائف وجنوبي مكة المكرمة إلى جازان ونجران، وقد خصص الجزء الثاني من كتابه الآنف الذكر لهذه البلاد العربية السعودية الجنوبية[٣].

ويشتمل الجزء الثاني من كتاب الشريف علي أحد عشر فصلاً، غير المقدمة والخاتمة وفهارس الكتاب، وقسم الكتاب إلى بابين، الأول يحتوي على ثلاثة فصول تدرس طبيعة الإقليم أو الأقاليم في المملكة العربية السعودية، وجل مادة هذه الفصول تناقش التركيبة الجغرافية الطبيعية والبشرية لجنوب غرب المملكة العربية السعودية. أما الفصول الثمانية الأخرى في الباب الثاني فهي تدرس جغرافية مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى منطقتي نجران وجازان[٤].

ويخصص الشريف الفصل الثامن من كتابه للحديث عن منطقة نجران، ويبدو من وصفه ومما نقل من مراجع سابقة أن بلاد نجران بدأت في طور الازدهار والنمو منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)[٥]، ولو اطلعنا على وثائق القرن الرابع عشر الهجري، وعلى بعض المصادر والمراجع التي أرخت لمنطقة نجران منذ أربعينيات القرن الهجري الماضي، فإننا سوف نجد تواضع الحياة الحضارية في هذه البلاد[٦]، ومنذ عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) وبخاصة بعد دخولها تحت الحكم السعودي بدأت عجلة التنمية تظهر في مدينة نجران، فأنشأت بعض المؤسسات الإدارية الأمنية والخدمية، وشقت بعض الطرق الرئيسية التي تربط بلاد نجران بغيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية، واستمر التطور الحضاري للبلاد حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)[٧]. ونجد الأستاذ الشريف يدون في عشرين

---

(١) انظر: البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ٣٤٠-٣٥٦. ونأمل من جامعة نجران أن تشجع طلاب الدراسات العليا وأساتذة الجامعة على دراسة تراث وحضارة وتاريخ منطقة نجران عبر أطوار التاريخ.

(٢) يقع الكتاب في جزئين، الجزء الأول عن جغرافية المملكة العربية السعودية بشكل عام، والجزء الثاني، وهو الذي يهمنا في هذه الدراسة، عن مناطق جنوب غرب المملكة العربية السعودية، البلاد الواقعة جنوب الطائف ومكة المكرمة، ومناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران.

(٣) انظر عبد الرحمن صادق الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) (٤٨٣صفحة).

(٤) انظر عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص٥ وما بعدها.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٩١وما بعدها.

(٦) هناك عشرات الوثائق غير المنشورة وبعض الدراسات والكتب المطبوعة فصلت الحديث عن تاريخ وحضارة نجران خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذه الحقبة تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٧) للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣-٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م). (الجزء الثالث) ص ١٨٥-٢٤٣.

صفحة من كتابه التركيبة السكانية وشيئاً من التطور الحضاري في عموم وادي نجران من أعلاه إلى أسفله، وسلك الطريق نفسها على واديي حبونا، ويدمة[١]. وسجل هذا الجغرافي في كتابه والرحالة معلومات قيمة عن التركيبة البشرية في هذه الأودية، وأشار إلى بعض مهنهم الرئيسية، وإلى شيء من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية[٢]. ومن مشاهداته يقول : " قد تعرض الوضع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة نجران إلى تحولات جذرية خلال العشرين سنة الماضية [٣] ولا يزال يتعرض لها . ويأتي في طليعة العوامل الدافعة لهذا التغيير ربطها بطرق المواصلات الحديثة . فقد أنشئ في الستينيات في وادي نجران مطار حديث يقع في المتسع القريب من العريسة في شرق البلدة القديمة[٤] ... وفي أوائل التسعينيات (١٩٧٢م) تم توصيل نجران بخميس مشيط عبر ظهران الجنوب (٢٥٥كم)، فاتصلت بذلك بطريق الجنوب (الطائف - أبها) الذي اتصل فيما بعد بجازان على ساحل البحر الأحمر..."[٥]،

ويتحدث هذا الجغرافي عن أسواق نجران، فيقول: " كانت الأسواق الأسبوعية في الماضي هي الوسيلة الوحيدة التي ساهمت منذ القدم في توثيق الصلة بين سكان منطقة نجران فيما بينهم . والأسواق وإن كانت دوافعها تجارية بحتة، إلا أن ذلك لا يخفى مالها من نتائج اقتصادية واجتماعية وحضارية أخرى. ومن أهم تلك الأسواق القديمة في نجران : سوق دحضة، وسوق الإثنين في قرية بني سليمان، وسوق الثلاثاء في بلدة بدر، وسوق الأربعاء قرب قرية العان، وسوق الخميس في قرية مقابل، وسوق الجمعة في صاغر . وتقع جميعها في وادي نجران، فيما عدا بدر التي تقع في عالية وادي حبونا، ومن المنطقي أن تتغير أهمية هذه الأسواق مع الزمن، كما قد تتغير أماكنها، غير أن منافسة الأسواق الحديثة في مدينة نجران، وهي أسواق دائمة ستطمس معظم هذه الأسواق "[٦] . وهكذا ذكر هذا الرحالة صورا كثيرة من مشاهداته على أرض وسكان منطقة نجران . ومن يزور هذه البلاد في وقتنا الحاضر (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، فإنه سيلاحظ التطور والنمو والازدهار الكبير الذي عم جميع أنحاء المنطقة، فهناك شبكة طرق برية جيدة تصل كل ناحية أوقرية في البلاد، ويرى النمو العمراني الخاص والعام، التجاري، والرسمي، والأهلي في كل مكان، كما يشاهد النشاطات الاقتصادية وبخاصة التجارية والحرفية والصناعات وأيضا الزراعية، ناهيك عن التطور الإداري والثقافي والتربوي والتعليمي فهو منتشر في كل قرية، ومدينة، وحاضرة من منطقة نجران[٧] .

---

(١) عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٣٩١- ٤١١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩٥ وما بعدها .

(٣) ويقصد بذلك منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن الهجري (ق١٥هـ/٢٠م) .

(٤) عبد الرحمن الشريف، ج٢، ص ٣٩٧ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٩٧- ٣٩٨ . ويذكر أن الطرق التي تصل نجران - بشرورى، ونجران بوادي الدواسر يجري العمل في تنفيذها أثناء زيارته لنجران في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٦) عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٣٩٨ .

(٧) ما تمر به منطقة نجران اليوم من تطور وازدهار يحتاج إلى التوثيق في عدد من الكتب والبحوث العلمية . ونأمل من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث علمية تقوم بخدمة أرض وسكان الأوطان النجرانية في شتى الميادين الحضارية، وهذا العمل من أهم واجباتها لخدمة البلاد والعباد .

ثالثاً: قراءة ومقارنة للرحالة والمؤرخين ومدوناتهم:

١. تنوع بيئاتهم وثقافتهم:

الناظر إلى هؤلاء الجغرافيين، والرحالين، والمؤرخين المذكورة أسمائهم في هذه المبحث، يجد أنهم ولدوا وعاشوا في بيئات مختلفة في قارتي آسيا، وأوربا، وأمريكا، ومعظمهم عرب ومسلمون، وقليل منهم نصارى [١]، كما أن أكثر من نصفهم ولدوا وعاشوا في شبه الجزيرة العربية وبخاصة في اليمن، والحجاز، ونجد [٢]. ومنهم رحالون وعلماء كبار ولدوا في أصقاع عديدة من العالم العربي والإسلامي. مثل: ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامه، والإدريسي، وياقوت الحموي، والقزويني، وابن المجاور، وأبو الفداء، وابن فضل الله العُمري، ومحمد حميد الله الحيدري [٣].

وإذا تأملنا سيرة هؤلاء العلماء العلمية والثقافية، وجدنا بعض الرحالين والمؤرخين الأوائل كانوا موسوعات علمية، ولهم إسهامات ثقافية، وتاريخية، وجغرافية، وعلمية متعددة. فمنهم العالم في معارف عامة ومتنوعة أدبية ولغوية، وشرعية، وتاريخية، وجغرافية ومجالات أخرى عديدة [٤]. وهناك جغرافيون ورحالون متقدمون اشتهروا في مجال الرحلات، ومن ثم دونوا لنا معارف جغرافية وحضارية قيمة عن مدن ومناطق عديدة في العالم الإسلامي، ومن أشهرهم: ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، واليعقوبي، وابن رسته، وابن حوقل، والمقدسي، والقزويني [٥].

وهناك مؤرخون، وجغرافيون، ورحالون، عديدون، قصروا معظم أعمالهم العلمية على شبه الجزيرة العربية وبخاصة بلاد اليمن والحجاز وما حولهما، ومن أولئك الحسن الهمداني، والإمام القاسم العياني، وأبو علي الهجري، وتاج الدين عبد الباقي، ويحيى بن الحسين، وعبد الله بن علي الوزير، ولطف الله بن أحمد حجاف، والقضاة حسين العرشي، ومحمد بن أحمد الحجري، وعبدالله الجرافي، وتويتشل، وفلبي، وفيليب ليبنز، وتركي الماضي، وحمد الجاسر، ومحمد الأكوع، وعاتق البلادي، وعبد الرحمن صادق الشريف. وهؤلاء جميعاً حفظوا لنا تفصيلات تاريخية وجغرافية قل أن نجدها في مصادر أخرى [٦].

---

(١) عدد النصارى من هؤلاء الرحالين ثلاثة هم: فلبي، وتويتشل، وفيليب ليبنز، ويقال أن فلبي اعتنق الإسلام مؤخراً وعاش في الجزيرة العربية حوالي أربعة عقود.

(٢) السواد الأعظم من هؤلاء الرحالين والمؤرخين والجغرافيين عاشوا معظم حياتهم في اليمن، وكان منهم بعض الأئمة أو الأمراء الزيديين، وأيضاً علماء وقضاة يمنيين.

(٣) انظر سيرهم الذاتية المختصرة في صفحات سابقة من هذا البحث. وهؤلاء الرجال جابوا أصقاع عديدة في العالم العربي والإسلامي، ودونوا لنا أسفاراً قيمة في معلوماتها عن بلدن عديدة في شرق العالم الإسلامي وغربه.

(٤) للمزيد عن هذا الصنف من العلماء، انظر أبو إسحاق الحربي، وأبو علي الهجري، وياقوت الحموي، وأبو الفداء، وابن فضل الله العمري. وجميع هؤلاء خلفوا لنا ثروة علمية في معارف عديدة، وبعضها جغرافية وتاريخية لبلدان عديدة في إرجاء العالم العربي والإسلامي.

(٥) الناظر في مؤلفات هؤلاء الرحالين المنشورة يجدها كتباً موسوعية، فلا تختص بناحية أو حاضرة معينة، وإنما هي سجل لرحلاتهم وهم يجوبون أنحاء العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. وكتبهم في ميدان الرحلات والجغرافيا مصادر رئيسية لا يستغني عنها أي باحث في تاريخ وتراث الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية الوسيطة.

(٦) للمزيد انظر تراجمهم وأسماء بعض كتبهم في صفحات سابقة من هذه الدراسة، وهم يتفاوتون فيما دونوا لنا من تفصيلات حضارية عن جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة.

وجميع المؤرخين والرحالين الآنف ذكرهم أصحاب علم وثقافة عالية، لكن الأوائل منهم كانوا أعمق وأشمل في معارفهم وتخصصاتهم، كما أن بعض المتأخرين منهم كانوا يجيدون لغات عديدة كالعربية، ولغات أوربية وآسيوية أخرى، ومن أمثال أولئك فلبي، وتويتشل، وفيليب ليبنز، ومحمد حميد الله الحيدري . كما كان بعضهم أعلام بارزين في العلوم الشرعية واللغوية كالهمداني، والإمام العياني، وغيره من الأئمة والقضاة اليمنيين الذين ورد ذكرهم في صفحات سابقة من هذا البحث [١] .

٢. المصادر والمنهج المستخدم في جمع المادة :

معظم المؤرخين والرحالين المذكورين اعتمدوا في جمع مادتهم عن جنوب شبه الجزيرة العربية على السفر والترحال والمشاهدة، ومن أشهر أولئك أبو علي الهجري، والهمداني، وياقوت الحموي، وابن المجاور، وفلبي، وتويتشل، وفؤاد حمزة، والبلادي . وهؤلاء العلماء ساحوا في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية [٢]، ومنها نجران التي دونوا عنها بعض التفصيلات من خلال الرحلة والمشاهدة . وهناك علماء كبار مثل: ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، واليعقوبي، وابن رسته، وابن حوقل، والمقدسي، والإدريسي، وياقوت الحموي، والقزويني، وأبو الفداء، وابن فضل الله العمري نقلوا معلوماتهم عن نجران وغيرها من بلدان جنوب شبه الجزيرة العربية من بعض المصادر السابقة لعصورهم، أو مما سمعوه من الرواة الذين قابلوهم في الحجاز أو بعض حواضر العالم الإسلامي الأخرى[٣] .

وهناك مؤرخون وجغرافيون ومؤلفون دونوا تواريخ ومعارف عن النجرانيين وأرضهم من خلال الاتصال المباشر، أو القراءة في بعض المصادر اليمنية، أو السماع من أهل عصرهم، ومن أولئك الأئمة والأمراء الزيديين كالعياني، وأحمد بن سليمان، وعبد الله بن حمزة، والأميران الشريفان القاسم ومحمد أحفاد الإمام العياني . فهؤلاء كانوا يعملون في سدة الحكم الزيدي وكانوا على صلات سياسية وعسكرية مع النجرانيين، وما تم تدوينه والاطلاع عليه هو تسجيل الأحداث السياسية التي كانت جارية بين الطرفين، ولا تخلو هذه المدونات من صور تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة .

كما يوجد مؤلفون يمنيون آخرون خلال العصر الحديث مثل: يحيى بن الحسين، وعبدالله الوزير، ولطف الله جحاف، والقضاة العرشي، ومحمد الحجري، والجرافي، والأستاذ محمد الأكوع فقد دونوا مؤلفاتهم التي اعتمدوا فيها على مصادر ومراجع أخرى، وكذلك معاصرتهم ومشاهدتهم وسماعهم للكثير من الأحداث في عصورهم .

---

(١) جميع الرحالين والمؤرخين المذكورين في هذه الدراسة من العلماء الأفذاذ في الحضارة الإسلامية، لكنهم بدون شك يتفاوتون في مقدار تحصيلهم وأنواع معارفهم وثقافتهم .

(٢) للمزيد انظر سيرهم في صفحات سابقة من هذه الدراسة .

(٣) هؤلاء العلماء والرحالون لم يزوروا جنوب شبه الجزيرة العربية، ولم يشاهدوا منطقة نجران، فقد ولدوا وعاشوا خارج شبه الجزيرة العربية، وجاءوا إلى مدن الحجاز المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة، وجمعوا معلوماتهم عن بلاد نجران وتهامة واليمن من مصادر أخرى، أو من المقابلات والسماع من بعض الرواة الذين عاشوا وعرفوا شيئاً من تراث وحضارة الجزيرة العربية .

وكان لبلاد نجران ذكراً في تلك الأعمال العلمية[١] .

٣. دراسة المادة العلمية ومقارنتها :

تنوعت المادة العلمية التي ورد ذكرها في هذه الدراسة، وللخروج بصورة واضحة ومركزة، ندرج خلاصة ما توصلنا إليه في النقاط الآتية :

أ - امتاز الجغرافيون والرحالون الأوائل، من القرن الثالث إلى الثامن الهجري (٩ - ١٤م) بالاختصار الشديد فيما ذكروه عن بلاد نجران، ومعظمهم لا يخرج في مدوناته عن ذكر نجران كإحدى المحطات التجارية على الطريق اليمنيية الحجازية، ومنهم، ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، وابن حوقل، والمقدسي، والإدريسي، وأبو الفداء، وابن فضل الله العُمري . وبعضا من هؤلاء يشيرون إلى أهمية نجران في الزراعة ودباغة الجلود . ويذكر ابن فضل الله العُمري شيئاً من التركيبة الجغرافية والسكانية لبلاد السراة الممتدة من الطائف إلى نجران وصعدة[٢] .

ب - هناك رحالة ومؤرخون مثل: الهمداني، وأبو عبدالله البكري، وياقوت، وابن المجاور، وأبو الفداء، وصاحب كتاب (نور المعارف) فصلوا الحديث عن مواضع في نجران فذكروا جغرافيتها، وتركيبتها السكانية، كما أشار بعضهم إلى سبب تسمية نجران، وأنسابها، وهناك من سجل شيئاً عن معتقدات أهلها حيث كان يعيش فيها خلال القرون الإسلامية الوسيطة من هم على مذهب الشافعية، وآخرون زيدية، أو نصارى . وأشار الهمداني، والحموي، وابن المجاور، وأبو الفداء إلى وفرة مزارعها وبخاصة التمور وبعض الخضروات والفواكه[٣] .

ج - أخذت الأخبار السياسية والعسكرية حيزاً كبيراً عند المؤرخين اليمنيين مثل مؤلفات بعض الأئمة والأمراء الزيديين[٤]، ومؤرخين آخرين لم يذهبوا بعيداً عن كتب الأئمة، كيحيى بن الحسين، وعبد الله بن علي الوزير، ولطف الله جحاف، والقضاة العرشي، والحجري، والجرافي[٥] فقد أسهبوا في الحديث عن الحروب بين الأئمة الزيدية

---

(١) نعم لقد ورد ذكر لمنطقة نجران في جميع المصادر والمراجع القديمة والحديثة المذكورة في هذا البحث، لكن عندما نسعى إلى الخروج بصورة واضحة عن تاريخ وحضارة نجران من خلال المصادر اليمنية أو المحلية، فإننا نعجز عن تحقيق ذلك، لعدم وفرة المادة التاريخية الكاملة المدونة، ثم غلبة الجانب السياسي والعسكري بين الزيديين والنجرانيين فيما تم تأليفه وحفظه. وأقول أن بلاد نجران تستحق أن تدرس في شتى المجالات التاريخية والحضارية والأثرية منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٢) انظر ابن فضل الله العُمري، ص ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩. وللمزيد عما ذكره الجغرافيون الأوائل عن نجران انظر صفحات سابقة في هذ الدراسة .

(٣) للمزيد انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥٣، ١٦٢، ١٦٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٧٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٥١، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢ . البكري، معجم ما استعجم، مج١، ج٢، ص ١١٢٩. مج٢، ج٤، ص ١٢٩٨- ١٢٩٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥،، ص ٢٦٦- ٢٧١ . ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج٢١، ص ٢٦، ٢٧، ٣٧، ٣٨، ٢٠٨-٢٠٩، ابن فضل الله العُمري، ص ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، صاحب كتاب (نور المعارف)، ج١، ص ٢٤٨- ٢٤٩ .

(٤) للمزيد انظر مجموعة رسائل الإمام العياني، ص ٢٦ وما بعدها، صاحب كتاب (أنباء الزمان)، ص ١٠، ١١، ١٩، ٥٠، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٣٩-٤٤، ٥٧-٦٦، ٨١-٨٨، ١٣٠-١٣٢، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٠١، ٥٢٨، ٧٩٨-٨٠٠، ٩٠٦، ٩٤٢، سيرة الأميرين الجليلين، ص ١١٢- ١٢١ .

(٥) انظر: يحيى بن الحسين، ج١، ص ٢٢٧، ٢٣١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٤٧، ٤٧٧. عبدالله الوزير، ج١، ٢١١، ٢٢٥، ٢٢٩،

في صنعاء وصعده وبين النجرانيين، وكيف كان الزيديون يسعون إلى بسط نفوذهم على منطقة نجران، لكن النجرانيين كانوا غير راضين في موالاة الزيدية والدخول تحت سلطتهم . وكان بعض الأئمة يخضع أجزاء من نجران لسلطته، لكن ذلك لا يدوم طويلاً لتصدي النجرانيين لهم وطردهم . ونجد أن الحرب كانت سجالا بين الطرفين خلال القرون الإسلامية الوسيطة وبدايات العصر الحديث . ونتج عن تلك الحروب خراب ودمار لبلاد نجران وبخاصة في المزارع والمنازل وعقارات أخرى . ولا تخلو مصادر هؤلاء المؤرخين من إشارات لبعض الجوانب الحضارية الاجتماعية، والاقتصادية [١] .

د ـ إن الأستاذين محمد حميد الله الحيدري ومحمد الأكوع يشيران إلى بعض المراسلات والوثائق التي جرت بين الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وبين النجرانيين . وهذه الوثائق منشورة في مصادر تاريخية وحضارية مبكرة، وهذان المؤرخان قاما فقط بجمعها ونشرها في بعض مؤلفاتهما . دون أن يجريا عليها دراسة نقدية وتحليلية [٢] .

هـ ـ الرحالون، والمؤرخون الحديثون المسلمون وغير المسلمين (ق١٤ـ١٥هـ/ق٢٠ـ٢١م)، تفاوتوا فيما سجلوه عن نجران، وأفضلهم على الإطلاق فلبي فقد دون تفصيلات كثيرة عن النجرانيين، وعن معظم منطقة نجران من واديي يدمة، وحبونا شمالاً إلى بلدتي شرورى والوديعة جنوباً. ولم تكن المادة المسجلة عند هذا الرحالة مقصورة على جانب تاريخي محدود، فقد فصل الحديث عن جغرافية منطقة نجران، وتركيبة أهلها السكانية، وذكر شيئاً من تاريخها القديم، وأشار إلى بعض النقوش والرسومات الصخرية في جبالها ووهادها . كما دون معلومات قيمة جداً عن حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية في واديي نجران وحبونا، وفي بلدة نجران، وفي ناحيتي الوديعة وشرورى. ولم يغفل ذكر بعض المعلومات عن تاريخ الإسماعيلية والمكارمة، كما أورد شذرات قليلة عن بعض أعلام منطقة نجران مثل الأعيان والشيوخ، وبعض موظفي الدولة السعودية هناك [٣] .

ويأتي بعد فلبي تركي الماضي، ففي مذكراته وثائق تاريخية جيدة تفصل الكثير من الصلات بين الدولتين السعودية واليمنية خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وكان الأستاذ الماضي معاصراً ومشتركاً في أحداث تلك الحقبة . كما أصبح أميراً لنجران منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي، وقد دون لنا معلومات قيمة عن أرض نجران وحياة النجرانيين أثناء ولايته على المنطقة النجرانية [٤] .

---

٢٤١. ج٢، ص ٣١٩، ٣٢٠، ٣٤٣، ٣٥٧. لطف الله جحاف، ص ٤٠٨، ٤٩٢، ٦١٨، ٧٠٦، ٧٣٠، ٧٥١. العرشي، ص٣٤، ٣٥، ٥٩، ١٤٦، ١٤٧. الحجري، ج٢، ص ٧٣٤ـ٧٣٨ .

(١) انظر : المصادر الآنف ذكرها في الحواشي السابقة .

(٢) محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٨٣ـ ١٢١. محمد الأكوع، ص ٨٩ـ ٩٦، ١٦١ـ ١٦٢، ١٨٨، ١٩٠. جل ما ذكره الأكوع منقولاً من كتاب الأستاذ محمد حميد الله . وكنت آمل من الأستاذ الأكوع أن يذكر في كتابه المراسلات السياسية بين النجرانيين والزيديين وبخاصة في القرنين (٣ـ٤هـ/٩ـ١٠م).

(٣) الأستاذ فلبي سجل عن نجران حوالي (٤٠٠) صفحة تدور في فلك تاريخ وحضارة نجران في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . انظر كتابه : مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٣٩٧ـ ٦١٢. ج٢، ص ٦١٩ـ ٨١٦ .

(٤) للمزيد انظر: من مذكرات تركي الماضي، ص ٤١١، ٤١٢، ٤١٣ـ ٤٢٢ .

كما دون كل من فؤاد حمزة، وتويتشل، وفيليب ليبنز، وعاتق البلادي، وعبد الرحمن صادق الشريف، تفصيلات متفاوتة في الطول والقصر[١]، لكنهم جميعاً أسدوا لنا معروفاً كبيراً فيما كتبوه وحفظوه لنا من معارف تاريخية وحضارية عن منطقة نجران منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)[٢].

أما الأستاذ حمد الجاسر فلم يحفظ لنا شيئاً ذا قيمة كبيرة، وإنما فقط أشار إلى بعض المعلومات المدونة في مصادر إسلامية مبكرة، مع أنه زار منطقة نجران في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولم يقتنص تلك الزيارة ويسجل لنا شيئاً من حضارة نجران أثناء زيارته لها. وهو خير من يفعل ذلك لقدرته العلمية العالية، وخبرته الطويلة في ميدان البحث العلمي في تاريخ وتراث وحضارة الجزيرة العربية[٣].

رابعاً: آراء واقتراحات:

قصدت بهذه الدراسة الإسهام في جمع أقوال وروايات بعض المؤرخين والرحالة المسلمين وغير المسلمين عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث. ولم أشمل كل العلماء الذين شاركوا في هذا الميدان، وإنما دونت نماذج منهم ومن مدوناتهم، على أمل أن يأتي من بناتنا وأبنائنا الباحثين والمؤرخين الجادين من يدرس هذا الموضوع دراسة مستفيضة وموثقة.

وإذا تنوعت خلفيات وأصول ومدونات كل مؤرخ أو جغرافي ورحالة، فذلك يدل على أهمية بلاد نجران عبر أطوار التاريخ، وهي فعلاً تستحق الاهتمام عند معاشر الباحثين، وفي مراكز البحوث العلمية الرصينة. ونأمل من جامعة نجران أن تبادر في تأسيس قسم أو كلية للتاريخ والآثار تقوم على خدمة وطن نجران منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر. والمؤسف حقاً أنه لا يوجد في هذه الجامعة حتى الآن أي مركز أو مؤسسة علمية بحثية تسعى إلى حفظ تراث وموروث وتاريخ وحضارة منطقة نجران، وهي جديرة أن تحظى بهذه الخدمة العلمية والثقافية والأكاديمية.

من خلال اهتماماتي العلمية بتاريخ وحضارة وتراث بلاد نجران وتهامة والسراة خلال الأربعين عاماً الماضية تبين أن منطقة نجران من أقل الأجزاء الجنوبية السعودية التي حظيت باهتمام الباحثين والمؤرخين المحدثين. وهي في الحقيقة تعد من أعرق وأقدم النواحي التي لها ذكر، وآثار، وتاريخ وحضارة وبخاصة في عصور ما قبل الإسلام، وفي عصري الرسول ﷺ والخلافة الراشدة. وأقول يا معاشر المؤرخين والآثاريين الجادين والمنصفين يمموا نحو بلاد نجران الجديرة بالخدمة والاهتمام العلميين.

---

(١) انظر تويتشل، ص ٣، ٤٥-٤٦، ٧٩، ٩٢. فيليب ليبنز ص، ٢٩-١٤٨. البلادي، ص٩٣-١٠٤، ٢٢٢-٢٣٩، ٣٤٠-٣٥٦. عبد الرحمن الشريف، ج٢، ص ٣٩١-٣٩٨.

(٢) المصادر والمراجع نفسها.

(٣) كنت آمل من الشيخ الجاسر أن يكون تجول في منطقة نجران وشاهد آثارها وشيئاً من تاريخها القديم والحديث ثم دون لنا ما يستطيع، ولو فعل في نجران مثلما فعل في منطقة الباحة (غامد وزهران) لكان خلد لنا عملاً علمياً رائداً عن ديار نجران ذات التاريخ والحضارة العريقة. .